

إحداثيات كريستية

سَيِّدَةُ الْقَصْرِ

د. هَلْمَة بَيْتَا وَالثَّقَايِينَة
بَيْرُوت - لُبْنَان

أهلاً بك في بيتي

سيرة القصر

المكتبة الثقافية
بيروت

سيدة القصر

- ١ -

قالت مضيضة الطائرة :

- أرجو ان تشدوا أحزمتكم ..

وتباطأ ركاب الطائرة في النزول على طلب المضيضة فقد كان هناك شعور هام بأن الطائرة لا يمكن ان تكون قد وصلت إلى مطار (جنيف) .

وكررت المضيضة طلبها :

- شدوا أحزمتكم .. أرجوكم .

ثم جاء صوت قائد الطائرة في المذياع موضعاً باللغات الألمانية والفرنسية والانجليزية انهم قادمون على فقرة من الأحوال الجوية السيئة .

وتشاءب السير ستافورد ناي واعتدل في مقعده .. كان مستغرقاً في نوم عميق .. وكان يحلم في نومه بأنه يصيد السمك في أحد الأنهار الانجليزية .. حين أيقظه صوت قائد الطائرة .

كان ستافورد ناي يناهز الخامسة والأربعين من العمر ، متوسط الطول ، أملس البشرة . حليق الوجه .. يحرص في ثيابه وتصرفاته على ان يلفت

إليه الأنظار .

وكان أحب ثيابه في أسفاره ، عباءة ، كذلك التي يرتديها قطاع الطرق . سبق ان ابتاعها في كورسيكا .. وكان لونها أزرق قائماً .. وبطانتها قرمزية . ويتبدل منها غطاء للرأس يمكن استخدامه توكياً للتيارات الهوائية .

وكان السير ستافورد ناي مخيباً للامال التي عقدت عليه في السلك الدبلوماسي ولم يحقق ما كان متوقفاً له في شبابه ، إذ كانت تعثره فوبة مرح شيطانية ودعابة خبيثة حين يجد الجدد ..

وكان شخصية معروفة في الحياة العامة .. وإن لم يبلغ قمة المجد والشهرة . وكان رأي الناس في ستافورد ناي انه لن يقدر له طي الرغم من توقد ذكائه ، ان يكون الرجل الأمن الوداع ، وبالذات في هذه الأيام المعقدة العلاقات الخارجية ، المتشابكة الاتجاهات السياسية ، الأمر الذي أدى إلى استبعاده من مناصب السفراء ، وإن عهدوا إليه من حين لآخر ، ببعض المهام التي تتطلب ائتمان فن الدس والتآمر ، ولم تكن من الأهمية بمكان . وكان الصحفيون ينعتونه بأنه جواد الدبلوماسية الأسود .

ولم يكن احد يعلم ، ما إذا كان السير ستافورد نفسه راضياً عن عمله من عدمه .

ولعله لم يكن يدري من أمر نفسه شيئاً . فلقد كانت للرجل نواحي غروره ، كما كان يطيب له ، ان يوغل في الإضرار بالناس ، إرضاء لنزواته .

وكان الرجل عائداً بعد الفراغ من قصي الحقائق في الملايو . وكان يرى ان هذه المهمة تفتقر الى التشويق وذلك لأن زملاءه كانوا قد بينوا النية مسبقاً مما سينتمون إليه من آراء ، مهما يكن من أمر ما يشاهدون او يستمعون

وكان يوده لو بعث في اعمال اللجنة الحياة ، أو آثار في أذهان سائر الأعضاء ما ينصرف بهم عما التزموا به . وحتى مسز تانيل ادج ، المعروفة بنزولها ، لم تكن لتختلف عن زملائها .

وكان قد التقى بها من قبل ، في بعثة لحل مشكلة في إحدى عواصم دول البلقان .

وهناك ، لم يتورع السير ستافورد عن التقدم في إصرار ببعض الآراء المشوقة .

وألمحت بعض الصحف الى ما كان من علاقة بين وجود السير ستافورد فاي في تلك العاصمة البلقانية وبين ما أثير من مشكلات في البلقان . كما تحدثت عن مهمته السرية البالغة الدقة .

وقد بعث احد الأصدقاء بنسخة من هذه الصحيفة الى السير ستافورد فاي للاطلاع عليها ولكنه لم يفاجأ بما ورد بالصحيفة ، بل انفرجت شفتاه عن ابتسامة الرضا والسرور . كما طلب له ان يلمس مما نشر مدى بعده عن الواقع وما تردى فيه الصحفيون من خطأ . فلقد كان وجوده في (صوفيا جراد) ، راجعاً إلى اهتمام إحدى صديقاته القدامى ، ليدي لوسي كليجهورن ، اهتماماً ملحاً ببعض الزهور البرية النادرة ، ورغبتها الشديدة في اقتناء بعضها .

* * *

وعاد صوت المضيئة يتردد في مذياع الطائرة لينبئ المسافرين بأنه بسبب كثافة الضباب في جنيف فقد تقرر التحول بمسار الطائرة الى فرانكفورت ، حيث تستأنف الرحلة بعدئذ إلى لندن .

وكان الجو في استراحة المسافرين بقطار فرانكفورت دافئاً ، مما حدا بسير ستافورد فاي إلى التخلي عن عباءته ، وجلس يحمسي قدحاً من الجعة ، ويستمتع بأذن غير واعية لمختلف الاذاعات عن مواعيد قيام الطائرات إلى شق عواصم العالم .

وراح يتطلع بعينه فيما حوله من الاث وأفس واستقرت عيناه أخيراً على الوجه الجالس إلى جانبه على الأريكة .

فقد بدا له أنه وجه مألوف لديه ، وإن كان لم يذكر أين ومق التقى بصاحبته ، إنها لا تتجاوز السادسة والعشرين من عمرها ، ولها أنف أقي جميل وشعر اسود غزير .

أما هي فلأنها راحت تتفرس في وجهه وقد نحت الجملة التي بيدها جانباً ، وبفتة بادرته قائلة بصوتها الموسيقي وفي لكنة أجنبية خفيفة :

- هل يمكن أن تتجاذب أطراف الحديث ؟

وراح يتأملها قبل أن يجيب ، ولما اطمان إلى أنها ليست من ذلك الطراز من النساء أجاب :

- ولم لا ؟ لدينا مدمم من الوقت فيما يبدو .

- ضباب في كل مكان ، ضباب في جنيف وضباب في لندن ، لست أدري ماذا أفعل .

- هو في عليك انهم يقدرون مسؤولياتهم ، إلى أين قذهبين ؟

- كنت ذاهبة إلى جنيف .

- إنهم سيجعلونك اليها فوراً ، فإذا حدث هذا كان كل شيء على ما يرام
ثمة من سيلتقي بي هناك وبهذا يمكن ان أصبح في أمان .

- أمان ؟

وابتسم قبل ان يسمعها تقول له :

- إن الأمان كلمة من أربعة احرف ، ولكنها تعني الكثير في أيامنا هذه

وتعني الكثير بالنسبة الي بالذات . فإذا لم يتسن لي السفر الي جنيف واضطرت
إلى مغادرة هذه الطائرة هنا ، او اضطرت إلى أن اذهب بها إلى لندن
دون الاعداد لذلك ، فأني اعرف ان القتل سيكون مصيري .. اظن انك
لا تصدق هذا .

- الحقيقة اني لا اصدق .

- ولكنها الحقيقة المرة ، هناك مئات من الناس يقتلون كل يوم .

- ومن يا ترى يريد لك هذا المصير ؟

- وهل يغير هذا من الواقع شيئاً ؟

- كلا

- لك أن تصدقني إذا ما أردت ذلك ، إني بحاجة ماسة إلى من يساعدي
على السفر إلى لندن في أمان .

- ولماذا وقع اختيارك علي لأكون هذا الرجل ؟

- لأنني أعتقد انك تعرف شيئاً عن الموت ، وربما قدر لك أن تشهد
لحظة من لحظاته .

فتأملها بنظرة فاحضة ثم قال :

- وهل ثمة من سبب آخر ؟

فمدت يدها تلمس طيات معطفه الفضفاض قائلة :

- أجل هذا .

ولأول مرة أثارت اهتمامه فسألها :

- والآن ماذا تعنين بقولك هذا ؟

- انه رداء غير عادي بميز الطابع . انه مما لا يرتديه الكثيرون .

- هذا حق انه إحدى هواياتي .

- وهي هواية يمكن أن أنتفع بها .

- ماذا تعنين ؟

- إنني سأسألك شيئاً وقد ترفض ولكني لا أظن أنك ستفعل لأنني أعتقد
أنك رجل تحب المخاطرة مثلي تماماً .
فانفجرت شفتاه عن ابتسامة باهتة وقال :

- ابي مصغ اليك .

- إني بحاجة إلى هذه العباءة وبحاجة إلى جواز سفرك كما اني بحاجة إلى
تذكرة سفرك إلى لندن إنهم سيعلنون في مدى عشرين دقيقة تقريباً عن قيام
الطائرة المتجهة إلى لندن ، وسوف اركب هذه الطائرة بجواز سفرك مرتدية
عباءتك وبهذا اصل إلى لندن في امان .

- تمنين انك ستنتحلين شخصيتي .

ففتحت حقيبة يدها لتخرج مرآة صغيرة وقالت .

- تأمل وجهك ثم تأمل وجهي لتبين مدى ما بيلنا من تشابه .
تطلع إلى وجهها فرأى انه وجه مألوف لديه .

انها تشبه شقيقته باميليا التي توفيت منذ عشرين عاماً . لقد كان الشبه بينهما
كبيراً قال :

- ابي ادرك ما تمنين غير ان هذا لن يخدع أحداً .

- بكل تأكيد ، ولكنك لم تظن بعد لما أعازم عملي . إنك تسافر
واضعاً القلنسوة فوق رأسك وحول وجهك ، إن كل ما علي أن أفعله هو ان
اقص شعري وأغلفه بأحدى الصحف ثم اقمي به في سلة المهملات ، وبعد ذلك
ارتدي معطفك . وأتسلم تذكرتك وجواز سفرك . واستقل الطائرة منتحلة
شخصيتك وما لم يكن هناك من هو على معرفة وثيقة بك بتلك الطائرة - الأمر
الذي استبعده - فإن كل شيء سيكون على ما يرام .

ولسوف أحرص على ان تخفي القلنسوة معظم قسبات وجهي فيما عدا انفي
وعيني ولهي وهي التي يتركز فيها الشبه بيلنا . فسأغادر الطائرة في امان
بعد وصولها لأن أحداً لا يعرف اني كنت مسافرة بها ، فسأمضي في طريقي

قدماً منخذة من زحام لندن ستاراً
فابتسم السير ستافورد وقال متسائلاً :
- وما هو المطلوب مني ؟

- عليك أن تنهض من مكانك هذا وتوجه لشراء مجلة او صحيفة او هدية
بقاعة المبيعات . ولسوف تترك عباءتك فوق مقعدك فإذا ما قلت راجعاً
اتخذت لك مقعداً آخر ، فسيكون امامك هذا القدح ، فسيوضع به مادة
مخدرة .

- وبعد ؟

- فسيعرف للناس أنك كنت ضحية لخدع ملبت في أثره حافظه
ذودك ، بجميع ما بها من اوراق ، فسيكون من السهل عليك أن تثبت
شخصيتك .

- هل تعرفين من أنا

- كلا ليس بعد ، إني لم يطلع على جواز سفرك بعد ، ولا أعرف من
عساك تكون .

- ومع ذلك تقولين ان اثبات شخصيتي لن يتعذر علي .

- في مقدوري ان احكم على الناس من مظهرهم ، ولذلك تجدي واثقة من
انك شخصية لها قدرها .

- وماذا يدعوني إلى الإقدام على هذا كله ؟

- لتتقذ حياة امرأة في خطر

- ألا ترين معي ان القصة بعيدة عن التصديق ؟

- بلى فليس من اليسير تصديقها اراك اقتنعت بها ؟

فتأملها عن كذب قائلاً :

- اراك بمثابة الجاسوسة الحسناء في قضية مثيرة .

- ربما ولكنني لست بالحسناء .

- ولست بالجاوسة ؟

- ربما انطبق علي هذا الوصف ، إذ لدي بعض المعلومات ، معلومات أريد الاحتفاظ بها ، معلومات لها قيمتها في نظر بلادك .

- ألا ترين أن فيما قلت مبالغة لا تتفق والمنطق السليم ؟

- بلى ولكننا في عصر لا يستبعد فيه شيء .

وعاد يتأملها ، انها تشبه بامبلا شقيقته إلى حد بعيد .

إن فيما تعرضه عليه ما يشير السخرية أولاً ، وما ينزلق بالمرء إلى مهساو من المخاطرة ثانياً .

وهذا هو بالذات ما يشير فضوله لأن فيه الكثير مما يتفق مع مبعوله

ونزواته ، وأخيراً بادرها قائلاً :

- بودي لو عرفت ماذا يعود علي من قبول عرضك ؟

فتفرست فيه ملياً وهي تقول :

- الاقارة مجرد التغيير والخروج عن المألوف ، انه تزيق للسأم ، ومهما

يكن من أمر فالكلمة العليا والأخيرة لك .

وماذا عن جواز سفرك ؟ هل يتعين علي أن أنتحل شخصية امرأة

وأبتاع شعراً مستعاراً ؟

- كلا ، انك لن تحل محلي ، لن تكون بك حاجة لشيء من هذا بعد أن

تعلم حقيقة شخصيتك وانك قد خدرت وسلبت ، عليك أن تحزم أمرك ،

فليس ثمة متسع من الوقت ، وعلي ان أعد نفسي لما هو آت .

- لك ما تريد ، اني لا أستطيع أن أرفض كل ما هو غير عادي مما

يعرض لي من أمور .

- كنت أرجو أن يكون هذا رأيك

وأخرج ستافورد ناي جواز السفر من جيبه ووضع في جيب معطفه

الفضفاض . ثم نهض عن مقدمه يتشاب ويتطلع فيما حوله والقي نظرة على

ساعته واتجه إلى بناح المبيعات ، حيث ابتاع بعض هدايا الأطفال وكتاباً
مغلفاً ، وقفل راجعاً إلى حيث كان جالساً .
ولم يجد للفتاة ولا العبادة ووجد قدح الجملة حيث تركه ، فالتقطه ليفرغ
محتوياته في جوفه وكان مذاقه لا يختلف في شيء عن مذاقه قبل أن يوضع
به المخدر .

ومشى عبر القاعة إلى ركن بعيد منها ، وهو في عجب من كل ما حدث
ويحدث ، واتخذ مجلسه يجوار عازلة كان أفرادها يضحون بالضحك وهم
يتجادون أطراف الحديث ، وأسند رأسه إلى ظهر مقعده وهو يتشاءب .

وبعد أن شرع في تصفح كتابه ، شعر برغبة شديدة في النوم .. وسمع عن
بعد صوت المذياع يعلن عن قرب إقلاع طائرته المسافرة إلى لندن - الطائرة
رقم ٣٠٩ .

وبين صفوف المسافرين الذين نهضوا مسرعين عقب سماعهم المذياع ، شوهد
رجل متوسط الطول يرتدي عباءة زرقاء داكنة تكشف ثيابها ، طانتها
الحمراء وقد غطى رأسه بقلنسوة أخفت معظم وجهه .

وبعد أن أبرز الرجل تذكرة سفره ، اجتاز الباب رقم ٩ ، ثم سمع صوت
المذياع يعلن :

- هل للآنسة دافن نيودوفالوس المسافرة إلى جنيف ، أن تتفضل بالحضور
إلى مكتب الطيران ، إن المسافرين إلى جنيف سيصلون إليها عن طريق اثينا
إن الطائرة تتأهب الآن للإقلاع .

وتوالت النداءات لمختلف المسافرين إلى اليابان ، ومصر ، وجنوب أفريقيا .
وكان من بين المسافرين إلى جنوب أفريقيا مسافر سديني كوك ، الذي دعي
للتوجه إلى مكتب الطيران حيث توجد رسالة له ..

وفي ركن من المكان كانت هنالك فتاة صغيرة تتأمل ذلك الرجل الذي
يفظ في نومه ، مسنداً رأسه إلى ظهر مقعده ، وبمسكاً بدمية حيوان اللاما .

ومدت الفتاة الصغيرة يدها صوب الدمية .

ونهرتها امها قائلة :

- جوان اياك أن تفعلني هذا ان السيد مستسلم للنماس .

- ترى ما هي وجهته ؟

- ربما كانت استراليا ايضاً كما هي وجهتنا .

- وهل له ابنة صغيرة في مثل عمري ؟

- اعتقد هذا .

وقامت الفتاة الدمية في حجرة ، وكان السير ستافورد فاي ما زال يغط في نومه مستمتعاً باحلامه المختلفة ، ولم يكن قد سمع من اعلانات المسدياع غير اولها الخاص بمس دافن تيمودوفالوس ، ثم استسلم لنوم عميق .

بعد ان أعد السير ستافورد ناي لنفسه قدحاً من القهوة ، راح بتصفح بريد الصباح ، ولم يجد به شيئاً ذا أهمية خاصة . والقى بالرسائل مع غيرها فوق المنضدة ليفرغ إلى قهوته وإفطاره .

ثم عاد ليلتقط الرسائل التي فضاها عند وصوله في ساعة متأخرة من الليلة الماضية ، وكان يبئس وهو يعيد قراءة إحداها قائلاً :

- الحادية عشرة والنصف ، إنها لساعة مناسبة ، يحسن بي ان أعيد التفكير في بعض الأمور ، مع الاستعداد لشتويند .

وبعد قليل ، غادر بيته إلى الشارع ، ومشى عبر منقذه جرينبارك في طريقه إلى هوايتهول . وكان ملشرح الصدر يرى من الحياة جانبها المشرق . وبدأ يستعرض كل شيء عن شتويند ، إن شتويند أحق مآفون .. إنه واجهه حسنة ، وشخصية تبدو هامة ، وله ذهن مدقق مرطب ، وهو واثق من انه يتمتع بهذا اللقاء

ووصل إلى هوايتهول متأخراً بضع دقائق عن الموعد المحدد ، والفي شتويند جالساً الى مكتبه وأمامه مختلف الأوراق ، واستقبله شتويند مبتسماً مرحباً وهو يقول .

- مرحباً ناي ، عود سعيد ، كيف وجدت بلاد الملايو ؟

- حارة .
- هذا هو المفروض فيها . أعتقد انك كنت تعني مناخاً ، وليس السياسة ؟
- مناخاً ، بداهة .
- والنخذ له مقعداً ، وتابع المضيف يسأل :
- هل توصلت إلى بعض النتائج ؟
- نتائج لا تكاد تذكر .. لقد بعثت بتقريرى .. كيف حال لارنباي ؟
- فقال له شيتويند :
- مصدر مضايقة كالعهد به . إنه لن يغير من شأنه
- إن هذا أكثر مما يرجى منه . أما من أبناء أخرى .
- كلا لا جديد .
- لم أفهم من مکتوبك لماذا رغبت في هذه الزيارة .
- لجرد استعراض بعض الأمور معك ، فربما تكون قد جئتنا ببعض التوجيهات الخاصة ، مما يمكن أن نعد له ونتأهب للإجابة عليه في مجلس العموم . أي شيء من هذا القبيل . لقد عدت جواً ، اليس كذلك ، ينحى إلى انه صادفتك بعض المتأهب .
- واكسى وجه ستافورد ناي بالقناع الذي أهده لهذا الموقف . قناع الجد والضيق معاً .
- ثم قال :
- إذن فقد سمعت بما حدث ؟
- نعم نعم ، هذا بدعي يا له من موضوع عجيب .
- قد أولته صحف الصباح أهمية بالغة .
- لعلك كنت تفضل ألا يحدث هذا ؟

- إن حدوثه لشخص في مثل عمري ومركزي ، يظهرني بمظهر
الفر الأبله .

- ماذا حدث على وجه التحديد ؟ لقد دار بخلدي ان الصحيفة بالفت في
عرض الحقائق .

- هذا دأب الصحف دائماً ، وأنت تعرف مدى ما يكتنف هذه
الرحلات من ملل . قيل بأن الضباب كان كثيفاً في جنيف ، مما استوجب
تغيير مسار الطائرة الى فرانكفورت ، حيث مكثنا في الانتظار ساعتين كانتنا
مبعثاً للسأم والضجر .

- وماذا حدث إبان هذه الفترة ؟

- جلست أتخايل على ملل الانتظار ، بتناول قدح من الجمعة ، وقراءة ما
كنت أحمل من صحف ومجلات ، ثم رأيت ان أوجه لابتياح قصة بوليسية ،
ودمية لإحدى بنات إخوتي .

- وعدت لأجرع ما تبقى من كأسي وأشرع في قراءة قصتي الجديدة ، وكان
أن استفرقت في النوم ، واعتقد ان هذا أمر طبيعي . وكنت مستسلماً للنماس
بجيت لم أسمع شيئاً عن قرب قيام طائرتي ، مع اني كنت أسمع دائماً كل نداء
في أسفاري مهما كنت نائماً .

وصحوت من نومي ، او قبل عدت الى صوابي ، لأجد من يقوم على
رعايتي طبيباً .

وكان واضحاً ان شخصاً ما قد دس لي مخدراً في شرابي أثناء غيابي عن
مقعدتي لشراء الكتاب والدمية .

- إنه لأمر يدعو للدهشة ، اليس كذلك ؟

- بلى ، وهو ما لم يحدث لي من قبل .

وقد اكتشفت سرقة حافظتي نقودي بما فيها من أوراق كان من بينها
جواز سفري . ومع ذلك فلم يتعذر علي إثبات حقيقة شخصيتي بفضل ما كان

ممي من رسائل وأوراق أخرى في بعض جيوبى الداخلية .
- ومع ذلك ، فهو حادث مؤسف ، وخاصة لرجل في مثل
مركزك .

وكان صوت شيتويند مشوباً بما ينبىء عن عدم رضائه عما حدث ،
وتابع قائلاً :

- مهما يكن من أمر فأنت لا لوم عليك ولا تريب ، فمن الجائز أن
يقع هذا لفيرك

- ومع ذلك فقد لفتت درسا قاسياً .

- ألم يدر بخلدك ، ان ثمة من كان يهدف إلى الاستيلاء على جواز
سفرك بالذات ؟

- لا أعتقد هذا . ولماذا ؟ وفيه هذا العناء ؟

- هل التقيت في فرانكفورت بشخص لك به سابق معرفة ؟
- كلا .

- ألم تتبادل حديثاً مع أحد ؟

- مجرد حديث عابر مع البعض حول موضوعات تافهة .

- إن المرء يميل إلى الاعتقاد بأن ثمة شيئاً ما وراء هذه الأحداث .

- لا أرى ما يمكن ان يختفي وراء ما وقع لي . وعلينا ألا نبالغ في
تصور أشياء أبعد ما تكون عن الواقع دعنا من هذا الحديث . كيف حال
ليلاند المعجوز ؟ فقد سمعت عنه الكثير هناك .

وتجاذب الرجلان الحديث طوال عشر دقائق ، نهض السير ستافورد
بعدها منصرفاً .

وغادر الغرفة منشرح الصدر ، يحبي هذا وذاك ممن التقى بهم في الدهليز .
وبعد انصرافه اتصل شيتويند بسكرتيرة تليفونياً ، وطلب اليها ان تدعو
الكولونيل مونرر للحضور إلى مكتبه .

وأقبل الكولونيل مونرو ، وفي صحبته رجل ، في منتصف العمر ،
وقال ،

- لست أدري ما اذا كان لك سابق معرفة بهوشام ، من رجال
الامن .

- أعتقد اننا التقينا قبلا .

وتابع الكولونيل مونرو قائلا :

- لقد كان فاي مجتمعا بك ، اليس كذلك ؟ ماذا عن تلك القصة
التي جرت أحداثها في فرانكفورت ؟ أعني ، هل من جديد جدير
بالاهتمام .

- لا اظن ، انه جد آسف لما حدث .

فأرما الرجل المدعو هورشام برأسه قائلا :

- آسف لأن ما حدث يظلمه بظلم الغافل ، اليس كذلك ؟

- بلى وان كان قد حاول أن يهون الأمر .

فانبرى هورشام قائلا :

- غير انه ليس بالغر الأحمق كما نعرف عنه ، اليس كذلك ؟

- ان مثل هذه الأحداث ليست بالمستبعدة ، بصفة عامة .

فقال الكولونيل مونرو :

- نعم ، نعم ، أدرك هذا ، غير اني كنت أرى في فاي دائما ، انه

لا يرجى منه خير ، وانه قد يجانبه الصواب في الكثير من آرائه .

ولكنه مع ذلك ، ليس بالرجل الغافل . ألم يدر بخلدك ، ان ثمة ما يشير

الشك فيما حدث ؟

وكانت الجملة الأخيرة موجهة الى هورشام الذي قال :

.. من جانبه ؟ لا اظن ذلك .

- هل توليت فحص الموضوع بأمره يا هورشام ؟

- لم يكن لدينا متسع من الوقت للتركيز على جميع الاحتمالات . ولكننا نعرف ان جواز سفره قد استعمل .

- استعمل ؟ وكيف كان ذلك ؟

- في مطار هيثرو ، هنا في لندن .

- هل تعني ان أحداً ما قد انتحل شخصية السير ساتفورد ناي ؟

- الى حد ما ، والجدير بالذكر ، انه لم يكن قد ورد لنا اخطار عن فقد الجواز ، لأن السير ساتفورد لم يكن قد استفاق بعد ، ليتبين ما حدث .

- بمعنى ان السارق ، قد استغل جواز السفر ، في دخول المجلترا ؟

- نعم .. هذا هو المفروض . وهذا ما يمكن ان يعد تفسيراً لما حدث في استراحة مطار فرانكفورت . وقد دس الخدر في شراب السير ساتفورد لسرقة الجواز .
فقال شيتويند :

- من المفروض ان المختصين بتفريسون في صور الجواز الفوتوغرافية ، وفي محيا حامله .

فقال هورشام :

- لا بد وان يكون هناك شبه كبير بين المختلس للجواز وبين صاحبه الأصلي . فضلاً عن انه لم يكن ثمة ما يثير الشك في احتمال وقوع شيء من هذا القبيل .

وغني عن البيان انه ما لم يحدث شيء يدعو الضابط المختص لامعان النظر في الجواز فإنه يكتفي بالقاء نظرة عابرة في زحمة المسافرين الوافدين والبحث مستمر لكشف النقاب عن سر استعمال هذا الجواز .

- وما هو رأيك الخاص ؟

- لم أنه بعد الى رأي معين لأنني لا أحب القفز الى النتائج دون روية .
وبعد ان غادر هورشام الغرفة قال الكولونيل مونرو :
- كلهم سواء لا يكشفون عن آرائهم قبل الأوان ؛ هذا هو شأن
رجال الشرطة .

فعقب شيتويند قائلاً :
- هذا طبيعي لأنهم يخشون الوقوع في الخطأ .
- ان هورشام شخص كفء وهو موضع ثقة جميع رؤسائه .

- ٢ -

عاد السير ستافورد إلى مسكنه ، واستقبلته امرأة بدينة ببسب
المطبخ بقولها :
- جداً لله على سلامة العودة . يا لملك الطائرات المقيمة ان السفر بها غير
مضمون العواقب .

- نعم ، يا مسز ووريت .. كانت هناك تأخير طال أكثر من
ساعتين .

- اني لا أحب السفر بها .

وبعد ان ذكرت له ما أعدته له من أنواع الطعام للغداء ، وأطرى
ذوقها فيما وفقت اليه من ألوان ، عادت مسز ووريت إلى مواصلة عملها
قريرة العين .

ثم سمعها تقول له .

- لملك تقر ما فعلته بتسليم ثيابك إلى الشخص الذي قدم لتسلما ؟ مع
اذك لم تحطني علماً بذلك .

فوقف السير ستافورد أمام باب الغرفة فسألها :

- أية ثياب ؟

- حلتان كما قال الرجل . لقد قال انه موفد من شركة تويسي وبوني

لتنظيف الملابس . وقد سبق ان اختلفنا مع شركة هوايت سوان ، على ما اذكر .

- هللتان ؟ ما هي اوصافها ؟

- إحداهما الحلة التي كنت ترقديها حين عودتك من الخارج ، ولم يكن لدي أدنى شك في انها بحاجة إلى التنظيف . ثم رأيت ان تكون الثانية هي الحلة الزرقاء التي لم يعهد بها للتنظيف منذ فترة طويلة .

وكانت مسز ووريت تتحدث حديث الواصل من انها أحسنت صنعا . غير

انها سمعته يعقب بقوله :

- إذن ، قد فاز هذا الشخص المجهول بالحلتين ؟

وبدا الشك يساور مسز ووريت التي قالت :

- أتراني أخطأت ؟

- إن الحلة الزرقاء لا تعنيبي في كثير أو قليل . أما الأخرى التي كنت

أرتديها عند عودتي من الخارج ..

- لست أرى ضيراً في تنظيفها ، وبالذات لأنها لا تناسب هذا الفصل

من السنة . ثم انه قال انك اتصلت بهم تليفونياً ، وحددت لهم أوصاف

الحلتين .

- وهل دخل غرفة نومي لملهما ؟

- نعم يا سيدي ، فقد رأيت ان هذا أفضل .

- عظيم ، عظيم ، رائع .

وخطا إلى غرفة نومه يميل النظر فيما حوله .

ولقي ان مسز ووريت لم تفعل شيئاً ، ولم تدخر وسعاً في العناية بنظافتها

وحسن إعدادها .

واتجه إلى الدراب يتفقد ما بداخله ، وتبين ان الرجل أياً كان قد حرص

على ألا يترك ما يتم عن عبثه بالأدراج بحثاً عما يريد ، وانه قد حمل معه الحلتين

اللتين أتى في طلبها .

وأخذ السير ستافورد يستعرض في ذهنه جميع الاحتمالات واستقرت عيناه على الدمية الموضوعة فوق المنضدة المجاورة للفرش . وأثارت رؤيتها في ذهنه خواطر شتى .

فنهض الى التليفون يدبر قرصه قائلاً :

- العمة ماتيلدا ؟ ستافورد يتحدث اليك .

- إذن فقد عدت يا ولدي العزيز . إنني مسرورة كثيراً بعودتك . لقد قرأت بالصحف عن الكوليرا في ماليزيا . أتمنى ان أراك قريباً ولا تعتذر بكثرة مشاغلك .

- ما رأيك بالأسبوع القادم؟

- كلا الغد أفضل .

- آسف ، إذ لدي من الأعمال ما لا يتيح لي زيارتك قبل الأسبوع القادم .

كيف حال سيبيل ؟

-- إنها فتاة شريرة ولكنها مسلية .

- قد اشتريت لها دمية أتمنى ان تحوز إعجابها .

واستمع إلى العمة ماتيلدا وهي تذكره بمواعيد القطارات، وتسأله ان يرسل اليها بضع ألوان من الجبن وغيره .

وبعد انتهاء المكالمة مباشرة ، رن التليفون ، فرفع السير ستافورد السهارة

ليسمع المتحدث يقول :

- ألو ؟ ستافورد ؟ اريك بيو يتحدث اليك . قد علمت بعودتك من ماليزيا

ما قولك في تناول المشاء معي الليلة ؟

- ليكم يسعدني هذا .

- حسناً بنادي ليمبتز ، في تمام الثامنة والرابع ؟

وبعد الفراغ من هذه المكالمة اقبلت مسز ووريت قائلة :

- ثمّة زائر بالطابق الأرضي .

- من عساه يكون ؟

- يدعى هورشام يا سيدي

- هورشام ؟

ودهش السير لهذه الزيارة المباغثة .

وهبط الدرج إلى قاعة الاستقبال الكبيرة ، حيث وجد هورشام الذي

بادره قائلاً :

- أتمنى ألا أكون قد أزعجتك .

- لا عليك من هذا .

ومد له يده بصندوق السجائر مستطرداً :

- تفضل بالجلوس هل من خدمة ؟

وبدأ هورشام الحديث بقوله .

- إن المستر جوردون شيتويند شخص لطيف المعشر وقد كنت مجتمعاً به

بصحبة الكولونيل مونرو ، أثر إنصرافك من مكتبه مباشرة ولقد وفقنا في

طمأننته . إنهم قلقون لأجلك ؟

- لأجلي ؟

وراح السير يدخن في هدوء وهو ينظر ملياً إلى هنري هورشام متسائلاً

فقال هذا :

- هل لي ان أستفسر عن خطوتك التالية ؟

- بكل سرور . إني مسافر للإقامة مع عمتي لبدي مايلدا كلكمبتون

وسأزودك بالعنوان اذا أردت .

- أعرفه وانها فكرة صائبة .

- وهل هذا ما يراه الكولونيل مونرو والمستر شيتويند ؟

- انك خير من يعرف يا سيدي .

- إنهم في حيرة بشأنك أيشقون بك ام لا يشقون ؟
 - يشقون بي ؟ ماذا تعني ؟
 وكان السير ستافورد ناي محتدأ ؛ وهو يستوضح مستر هورشماس
 عما يعنيه .
 بينما راح هذا يبتسم في هدوء قائلاً :
 - سيدي .. المتداول عنك اذك لا تأخذ الأمور مأخذ الجد .
 - فهمت . لقد خيل لي انك تعني شيئاً آخر .
 - كلا .. يا سيدي .. هذا هو رأيهم فيك .. حبك للدعابة من
 حين لآخر .
 - ما اظن ان في قدرة المرة ان يكون جاداً على طول الخط .
 - غير ان هذا قد بلغ حد المخاطرة .
 - اني لا اعرف عم تتحدث ؟
 - سأصارك بكل شيء .. قد يقع احياناً يا سيدي ما ليس في الحسبان
 فتتصرف الأمور بما لم يقدر لها . وقد تمتد يد القدر أحياناً او قل يد إنسان
 كما حدث ..
 فقاطعه السير بقوله :
 - املك نهج الى ذلك الضباب في جنيف ؟
 - تماماً يا سيدي .. لقد كان لهذا الضباب أثره ؛ في تفسير خطط
 البعض ..
 وكان ان وجد إنسان ما نفسه في مأزق حرج ..
 - أخبرني ؛ بكل شيء .. فلأنني أريد ان الم ؛ بكل ما
 تعرف .
 - لقد تخلف أحد المسافرين حينما غادرت طائرتك مطار فرانكفورت
 بالأمس .. وكنت تنظ في نوم عميق بعد ان اتيت على شرايك واتخذت لك

- مجلساً في ناحية من استراحة المطار وكانوا يواصلون النداء باسم هذه المسافرة المتخلفة قبل إقلاع الطائرة .
- ترى ماذا كان من أمرها ؟
- بودنا لو عرفنا الاجابة عن هذا السؤال .
- وجدير بالذكر ان جواز سفرك ، على الرغم من تخلفك قد قدم إلى موظفي مطار هيثرو بالأمس .
- وأين هو الآن ؟ هل افترضتم انه اعيد الي ؟
- كلا ، إنه افترض يتجاوز كل الحدود . لقد كان لهذا الخدر أمره المرتقب دون أن يكون له أي أثر سيء عليك صحبياً
- لقد أصابني بصداع شديد .
- هذا ما لم يكن في وسعك لتجنبه في مثل تلك الظروف .
- ما دمت فيما يبدو ملماً بكل شيء ترى ماذا كان يحدث لو اني وأنا أقول لو رفضت العرض الذي قدم الي ؟
- كان الرفض بعني النهاية لما ري آن
- ماري آن ؟ ومن عساها أن تكون ؟
- إنها مس دافن تيودور فانوس .
- هذا هو الاسم الذي يخيل الي اني سمعته في مذيع المطار .
- نعم ، فهذا هو اسمها الذي كانت تتسمى به في سفرها إننا ندعوها باسم ماري آن
- وما هي حقيقة امرها ، هل لي ان أعرف ؟
- إنها قبة في عملها .
- وما هو عملها ؟ اهي معنا ام مع غيرها . وهذا بشرط أن تحدد مفهوم كلمة « غيرها » لديك .
- أدرك ما تعني وأعتقد انه ليس من اليسير تحديد ذلك

فأطرق السير ستافورد ناي قليلاً

ثم قال :

- ماري آن ، انه اسم لا يتمشى مع اسمها الحقيقي - دافن
ثيودور فالوس .

- ان أمها يونانية .. ووالدها انجليزي .. وجدها كان من رعايا
النمسا |

- ترى ماذا كان يمكن ان تتعرض له لو لم أوافق على إعـارتها
رداء ما ؟

- كان يمكن ان تقتل .

- حقاً |

- نعم .. إن ما يقع في مطار هيثرو يقض مضاجعنا ، ولو كانت
هذه الطائرة قد واصلت طريقها الى جنيف ، لجرت الأمور على خير
ما يرام . ولكانت صاحبتنا قد غادرتها في رعاية كاملة .. أما وقد
تغير مسار الطائرة .. فإنه لم يكن من المستطاع اتخاذ الاجراءات اللازمة
لحمايتها .

- لقد أثرت في نفسي القلق عليها ، ارجو ان تكون بخير |

- هذا ما نرجوه ، اننا لم نسمع ما يفيد العكس .

فقال السير ستافورد ناي ، معقّباً :

- قد يكون فيما سأرويـه لك ما يفيدكم ..

فقد قـام بزيارتي ، اثناء وجودي في الصباح يوا يتحول . شخص
زعم انه من شركة تنظيف ، وأخذ حلتين ، كانت احدهما تلك الحلة
التي كنت ارقديها بالأمس . وثمة اكثر من احتمال يفسر به هذا
الـفعل .

- لعله كان يبحث عن شيء معين .

- هذا ما أعتقد ، وإن كان قد بالغ في حرصه على ألا يشعرني بشيء غير طبيعي ، حقيقة انه أعاد تنظيم أدراجي بدقة ، ولكنه لم يعد الأشياء إلى مكانها الذي كنت قد تركتها به ، ترى عم كان يبحث ؟

- لا أستطيع أن أجزم بشيء ، إن غمة أموراً تجري - هذا ما لا شك فيه وهذه الأمور تجري هنا وهناك ، وقد تكون صادرة عن دوافع سياسية أو دوافع مالية . إن لك معرفة بمستر روبنسون اليس كذلك ؟ أم لعل له بك معرفة فيما أظن .

فأطرق السير ستافورد قبل أن يجيب :

- روبنسون ؟ روبنسون انه لاسم الإنجليزي جميل .

ثم تطلع إلى هورشام وتابع :

- مكمتمز الوجه اصفره ؟ بدين ؟ له نفوذه في كثير من الصفقات المالية بصفة عامة ؟ أترأه هو الآخر في صف الملائكة ؟

فقال هورشام :

- لست أعرف شيئاً عن الملائكة ، فقد أخذ بيدينا ليخرج بنا من مأزق حرج أكثر من مرة في بلادنا هذه ، ولا يتصل بسسه من هو من طراز مسر شيتويند ، لأنهم يعتقدون انه يكلفهم كثيراً .

فسأله ستافورد :

- حبذا لو زدتنى إيضاحاً ، لقد اختلط الأمر علي .

وتطلع ستافورد إلى هورشام في فضول .

فأرماً هذا برأسه نفيماً وهو يقول :

- إننا لا نعرف شيئاً على وجه التحديد .

- ترى بماذا يمكن أن احتفظ بمسكني مما من شأنه أن يشير فضول المشوقين

إلى العثور عليه ؟

- أصارحك القول بأنه ليست لدي أية فكرة عن ذلك .

- اذہ الأمر مؤسف . ان كل ما كان بيني وبين ماري آن هذه هو
انها سألتني أن أعينها على انقاذ حياتها ، وأخذت مني ، ولم تعطني شيئاً
أحتفظ به لها .

- إذا لم تنشر صحف المساء شيئاً عنها ، فإنك تكون فعلاً قد أهدمت
حياتها .

- وبهذا تختم القصة فصولها . يا للأسف فاقدم استبد بي الفضول لم كان
بودي أن أعرف المزيد .

ابتدر إيريك بيو صديقك قائلاً :

- هل لي أن أحدثك بشيء !

وتأمله السير ستافورد ناي ، الذي كانت له معرفة سابقة بإيريك بيو ،
امتدت أعواماً .

ولم تكن العلاقة بين الرجلين وثيقة ، لأن السير ستافورد كان يرى في
إيريك شخصية مملّة .

غير أن الرجل كان من الأصدقاء المخلصين له ، ومن ذلك الطراز الذي
يجب أن يدس أنفه في شؤون الناس .

استمع إليه ستافورد وهو يستطرد متسائلاً :

- لقد عدت بعد انتماء مؤتمر ماليزيا اليس كذلك ؟

- بلى ..

قال إيريك

- هل وعيت من الأمور ما كان له أهمية خاصة ؟

- كان كل شيء عادياً ، ومضى المؤتمر قدماً كما كان مقدراً له ، إن

هذه المؤتمرات الزاخرة بالخطب الملزمة بموقف معين المعروفة النتائج تضجرتني
وتبعث في نفسي الملل .

وتحدث إيريك بيرو عما يخطط له الصينيون ويعتزمون القيام به . فمقرب السير ستافورد على ذلك بقوله :

- لست أعتقد انهم يدبرون أمراً ، هذه مجرد شائعات إن ماو المعجوز جاد معني بمقاومة مرضه ومن يتآمرون عليه .

- وماذا عن النزاع العربي - الاسرائيلي .

- إنه يسير في طريقه المرسوم ، ومهما يكن من أمر ، فما هي العلاقة بين هذا وبين ماليزيا ؟

قال إيريك :

- إنني لم أكن اركز على ماليزيا بالذات .

- ماذا بك ؟ وفيم هذا التجهم ؟

- كنت اتسائل عما إذا كنت قد قمت بشيء يلاطخ سمعتك ؟

فحملق السير ستافورد ناي في وجه محدثه دهشاً ..

ثم قال :

- أنا ؟

- انك خير من يعرف نفسه ، إنك تحب أحياناً أن تمبث بمشاعر الناس ،

للتسخر منهم .

- لقد أقلعت عن ذلك أخيراً ترى ماذا سمعت عني ؟

- سمعت ببعض المتاعب التي حدثت في الطائرة التي كان مفروضاً أن

تستقلها في عودتك .

- ومن سمعت بهذا ؟

قال إيريك :

- من كارثيزون ا

- يا له من عجوز مخرف بتخييل من الأمور ما لم يحدث على الاطلاق .

- اعرف عنه هذا ولكنه في هذه المرة كان ينقل عن وينتقون فيما أظن ،

ما سمعه .

- وماذا سمع .

- إن هناك حلقة من الجاسوسية يشفق منها على بعض الناس .

- وماذا يرون في - هل أنا جاسوس آخر ؟

-- أنت تعرف انك لا تتحرى الدقة فيما يصدر عنك ، جرياً وراء ولعك

بالدعاية .

- يا صديقي ، إن رجال السياسة والدبلوماسيين ومن هم على شاكلةهم ، قوم

نزاعون إلى الانطواء على أنفسهم ، وهذا هو السر في ولعي باثارة جمودهم من

حين لآخر .

- إني أشفق عليك من هذا الولع ، إنهم يريدون توجيه بعض الأسئلة اليك

عما حدث بتلك الطائرة العائدة إلى لندن ، ويبدو انهم يعتقدون انك لم

تصدقهم القول

- إذن فهذا هو رأيهم ، رائع اني سأضعف من شكوكهم .

-- اياك أن تفعل .

- إنها فرصتي .

- استمع الي أرجو ألا تسيء الي مستقبلك بهذا الانقياد في غير تبصر

لذلك الولاغ بالدعاية والهدر .

-- لقد ضقت ذرعاً بكل هذه القيود الوظيفية .

- وهذا الاستمثار هو الذي كان يعوقك ، فلم تبلغ من المناصب الرفيعة ما

بلغه رفاقك .

- هون عليك يا صديقي ان حب الدعاية ليس جرماً .

ولم يجد ايريك بدأ من أن يلوذ بالصمت ويكف عن مجادلة صديقه وهكذا

صفا جو الأمسية واستمتع الرجلان بعشائهما .

وعاد ستافورد الى المنزل سيراً على الاقدام عبر جرين بارك .

وبينما كان يخطو عبر الطريق ، مرت بجواره سيارة مسرعة كادت تدممه لولا انه أسرع بالقفز الى الافريز لينجو بحياته . وسرعان ما اختفت السيارة بعيداً وتركته يتساءل عن السر في محاولتها القضاء عليه .

ولكن لم كل هذا الذي يتعرض له ؟ فما هو مسكنه بعثت به . وما هي حياته تتعرض للخطر .

وبدا يشعر بالخطر المهدق به

ودلف الى المنزل ، والتقط بريد المساء والى نظرة عليه ، وراح يتصفح مجلة لايف بوت المشترك فيها ، وكان يطوي الصفحات وهو شارد الذهن .

ثم توقف فجأة بعد أن استلقت نظره ذاك الشيء المودع بين الصفحات ، وتأمله ليتبين انه جواز سفره يعاد اليه وقد الصق به طابع العودة الى مطار هيثرو بلندن .

إذن فقد رجعت الى لندن في سلام ، ورأت أن تعيد اليه الجواز بعد استعماله . ترى أين هي الآن ؟ كم يود لو تمنى له ان يعرف .
وتساءل عما اذا كان سيقدر له أن يلتقي بها ثانية . من عساها أن تكون ؟
ورأى انه أشبه بالمشاهد لمسرحية يجلس في انتظار الفصل الثاني .

ولكن . . . فم هذا الترقب لرفع الستار عن الفصل الثاني ؟ انها ليست من الجمال الى هذا الحد الذي يجعله يتوق الى لقاءها اذا ما رفع الستار عن الفصل الثاني من هذه القصة . ومع ذلك ، فإن هذا الغموض الذي يكتنفها هو الذي أثار في نفسه هذا الفضول .

ولكنه لا يجب أن يضي أيامه في حيرة وتساؤل . ورأى انه يجب أن يفعل شيئاً ، فنهض يحرر اعلاناً لنشره بالصيغة التالية :

« مسافر الى فرانكفورت ، ٣ نوفمبر . نرجو الاتصال برفيق السفر في لندن » . فإذا ما قدر لها ان تقع عينها على هذا الإعلان ، فإنها ستدرك مفزاه وفعواه . ومن هنا يمكننا ان نتصل به لأنها تعرف اسمه وعنوانه من جواز

سفره ، وقد لا ترى الاتصال به على الرغم من ذلك . ولعلها قد رحلت عن لندن ثانية بعد أن أنجزت ما قدمت من أجله .

وفي الصباح التالي ، بينما كان في طريقه إلى منزله مجتازاً منسازه سانت جيمس . حاول ان يستعيد صورة شقيقته باميلا . لقد انقضت فترة طويلة منذ وفاتها . انه يذكر كل شيء عنها ، وإن كان لا يستطيع أن يتمثل صورة وجهها بكل دقة .

وأثار ذلك حنقه وتوقف عن مواصلة سيره ، بينما كان على وشك عبور الطريق الخالي من الحركة اللهم إلا من سيارة قديمة من طراز ديمار كانت تلمحرك على مهل .

وعجب من أمر نفسه ، ومن شرود ذهنه ، ومن هذا التوقف عن السير بدون سبب او داع . وخطا ليعبر الطريق ، فما كان من السيارة الديملر إلا أن اندفعت بسرعة فائقة في اتجاهه كحيوان مفترس يبغى الانقضاض عليه ، وبفضل سرعة حركته كرياضي قديم تمكن من القفز إلى الأفرز المقابل ، حيث وقف يتطلع إليها في دهشة المفاجأة وهي تختفي عن نظريه

بينما كان الكولونيل بايكواي جالساً في غرفة مكتبه ببلويزبري ، تحيط به سحب الدخان المتصاعد من سيجاره الضخم . اتصل به تليفونياً سكرتارته ليعلم ان الوزير السير جورج باكهام قد قدم لزيارته .

وأقبل السير جورج باكهام على الكولونيل بايكواي قائلاً :

— إننا لم نلتق منذ فترة طويلة فيما أعتقد .

— تفضل بالجلوس واليك بسيجار .

— كلا . . شكراً ليست بي رغبة الآن . . اعتقد ان هورشم كان في

زيارتك .

— نعم . . وأحاطني خبراً بما لديه .

— لقد رأيت أن هذا أفضل ، اي ان يأتي لزيارتك . إن مثل هذه الأمور

يجب أن تماذج في إطار من الكتمان

- هذا ما لن يكون

- عفواً ؟

- أقصد اننا مهما توخينا الحذر ، فإن كل شيء سوف يعرف ويذاع

- ترى ما هي المعلومات التي توصلتم اليها عن هذا الموضوع ؟

- كل شيء .. ليس هذا هو عملنا ؟

. ياله من حادث يدعو للدهشة ويشير التساؤل اهل لك معرفة شخصية

بسير ستافورد ناي ؟

وبدأ الكولونيل بايكواي بضيق ذرعاً بهذا الحديث ، لأن له رأياً خاصاً

في أسلوب تفكير زائره ..

انه رجل حذر ، يعم الفكر ويبالغ في التصور ، وإن كان ليس بالرجل

المتألق الذكاء ا

. ثم سمع الوزير يقول :

- انا لاناى ما كان من امر

فابتسم الكولونيل وراح يعدد اسماء بعض من خبىوا الظن فيهم ، وأردف

السير جورج في أسى :

- وهكذا ، لم تصبح الثقة المطلقة في الآخرين ممكنة ..

اليك مثلاً ستافورد ناي ، انه من أسرة عريقة أباً عن جد .

فمقب الكولونيل بايكواي يقول ، وهو يكاد أن يكون مغمض العينين :

- غالباً هكذا ، ذرية خاطئة في الجيل الثالث .

- كما اننى أرى فيه رجلاً أبعد ما يكون عن مواطن الجد ، نزاعاً إلى

الدعابة والهدر .

- نعم ، إنه مغرم بالمعيب بمشاعر الناس ومباغتهم بما لا يتوقعون ، لأنه

يستمرىء متابعة رد الفعل في أنفسهم .

- وهل في هذا التفسير رد مقنع ؟
- ولم لا ؟ إنها هواية مثل الهوايات الأخرى .
- لست استبعد ذلك ، ولو كنت في مكانك لما تركت الفأق يستبد بي .

* * *

لحق السير ستافورد تاي قدح القهوة جانباً ، ثم التقط صحيفته اليومية يتصفحها ، مولياً عمود الاعلانات الشخصية اهتماماً خاصاً ، كما فعل طوال الايام السبعة الماضية

وأخيراً استقرت عيناه على الكلمات التالية :

(مسافر من فرانكفورت ، الخميس ١١ نوفمبر . جسر هنجرفورد الساعة ٧،٢٠ .)

وأعاد السير ستافورد قراءة الاعلان (الخميس ١١ نوفمبر انه اليوم) ، واضطجع الرجل في مقعده وراح يرتشف مزيداً من القهوة ، لقد أحسب الاعلان في نفسه موات الآمال .

ونفض إلى المطبخ ، حيث الفى مسز ووريت مكتبة على عملها . فتطلعت اليه دهشة وهي تقول :

- سيدي . . هل من خدمة أودها ؟

- أجل ، اذا ذكر امامك اسم جسر هنجرفورد ، فإلى اين تذهبين ؟

- انني اتجه رأساً اليه بدون شك . انه بالقرب من تشيرنج كروس هناك عبر التيمس .

- عرفت أين يقع . شكراً مسز ووريت .

* * *

كان مساء ممطراً ، عاصف الريح ، وخب السير ستافورد ناي في السير
وقد رفع طوق معطفه الوافي من الأمطار .

ولم تكن هذه أول مرة يمشي فيها عبر جسر هنجرفورد .
وإن كان . . لم يخطر بباله من قبل ، انه سيتجه اليه في مثل هذه
الظروف

وكان الجسر مزدحماً بمسرعى الخطى إلى منازلهم ، حيث يلودون بها من
أمطار هذه الليلة ورياحها .

ودار بخلد السير ستافورد ناي ، انه سيكون من العسير التعرف على أحد
في زحمة هذه الجماهير .

إن الساعة ٧,٢ ليست بال اللحظة المناسبة لتحديد موعد ما فوق هذا الجسر
المزدحم .

وواصل سيره قدماً ، حريصاً على الاحتفاظ بمسافة بينه وبين من يتقدمه
ومن يتبعه . .

ولكني يتبع الفرصة لمن يريد التعرف عليه .

أراه أخيراً قد وقع فريسة لدعابة الغير بعد ان كان يساحب القدح المعلى
في هذا المضمار ؟

وبينما كان هذا الخاطر بدور بخلده وقع بصره على امرأة ترتدي معطفاً
واقياً من المطر . تمشي على هون في الاتجاه المضاد . وبعد أن اصطدمت به ،
سقطت فوق ركبتيها .

فأعانها على النهوض قائلاً :

- كل شيء على ما يرام ؟

. اجل ، وشكراً

ومضت في طريقها بسرعة ، بعد ان وضعت في يده شيئاً .
وحرصت على ان تطبق اصابعه عليه ثم اختفت بين صفوف المارة بعكس

الجماعة . ورأى السير ستافورد ناي ان يمضي في طريقه هو الآخر ، فهذا افضل لهما . . وظل يحد في سيره الى ان بلغ الجانب الآخر من النهر . وبعد بضع دقائق . كان يجلس في مقهى صغير ليحتسي قهواً ، من القهوة ولينتيح لنفسه فرصة التأمل ما في يده .
ووجد انه مظروف رقيق من النايلون ، بداخله مظروف آخر من الورق الابيض . وحينها فض المظروف الثاني . . فواته الدهشة إذ وجد به تذكرة دعوة لحضور المهرجان الموسيقي ، الذي سيقام بقاعة البلدية في مساء اليوم التالي .

استقر السير ستافورد فاي في مقعده ، وراح ينصت إلى مقدمة البرنامج الموسيقي .

وعلى الرغم من انه كان يستمتع بموسيقى فاجنر ، إلا انه كان يؤثر من بينها أوبرا سيجفريد - رينجولد وجوتنر دافيرنج .

وكان يتلفت فيما حوله من لحظة لأخرى ، بمسد أن حرص على احتلال مقعده مبكراً .

وكانت القاعة كاملة العدد كما هي العادة . وفي فترة الاستراحة ، نهض السير ستافورد ليلقي نظرة على ما حوله وكان المقعد المجاور له خالياً لم يشغله أحد بمعنى ان شاغله لم يحضر .

وغادر القاعة ليبحثي قدحاً من القهوة ، ويدخن لفافة تبغ ثم يعود أدراجه عند سماع جرس التنبيه . وما ان اقترب من مقعده ، حتى رأى ان المقعد المجاور له قد احتله صاحبه .

واستقر في مقعده ، ثم القى بنظرة عابرة جانبية ، وتحقق من ان الجالسة بقربه هي فتاة استراحة مطار فرانكفورت .

ولم تلتفت اليه ، بل حرصت على ان تولي وجهها شطر المسرح ، ولم يبد عليها ما ينم عن معرفتها عليه

وأدرك من ذلك الخطة التي يجب ان تتبع في هذا اللقاء وبعد ان اطفئت
الأضواء استدارت اليه جارتة قائلة :

- معذرة ، هل تمح لي بالاطلاع على برنامج الحفـل ؟ يبدو اني فقدت
برنامجي حينما كنت في طريقي الى مقعدي .
- بكل سرور .

ومد يده اليها بالبرنامج الذي تسلمته منه ، ثم راحت تراجع بنوده .
وبدأت الموسيقى بافتتاحية لوهنجرين وبعد انتهاء العزف ، أعادت اليه
البرنامج شاكرة .

وتناول البرنامج لينعرف على اسم المقطوعة التالية .
وحيث أن أبصر بسطر مدون بقلم الرصاص في ذيل الصحيفة ولم يحاول ان
يقرأ ما هو مدون ، في تلك اللحظة بالذات حين خفت الأضواء . فطوى
البرنامج وأمسك به بين يديه .

وتبادر إلى ذهنه ان هذا البرنامج هو برنامجها الذي ادعت بأنه فقد منها ،
لأنه لم يكن لديها فرصة لتدوين شيء ببرنامجها .
إن الملحوظة كانت معدة له ، الأمر الذي يدعوه لاتخاذ الحيلة في كل
ما يصدر عنه .

إن كل ما يحيط بهذه المرأة يعد لغزاً من الألغاز .

ولم يستبعد ان يكون بالقاعة ثمة من يراقب حركاتها او حركاته . حسب
الآن انها استجابت لندائه بالصحف ، وانه تأكد من وجودها بلندن ، وليس
عليه الآن سوى ان يصبر ويتربص ، وان يدع لها ما نشاء من خطوات ، وان
يصدح بما تأمر كما فعل بالمطار .

إن في هذا كله ما يجعل الحياة مشوقة مثيرة وليست كهذه الحياة المملة التي
يقضيها في حضور المؤتمرات .

وبجرد انتهاء الفرقة الموسيقية من عزفها ، بدأت تحدثه دون أن تلتفت

اليه ، أو يبدر عليها انها تتحدث اليه . كانت تتحدث بصوت عادي أبعد ما يكون عن الخفوت .

وانتهى البرنامج الموسيقي ، ودوت القاعة بالتصفيق ، وبدأ الحضور في الانصراف وتلكأ لعله ان يرى منها توجيهاً ما ولكن لم يبدر منها شيء من هذا القبيل وما كان منها إلا ان نهضت عن مقعدها واسرعت الخطى مخفية مع صفوف المنصرفين

وركب السير ستافورد سيارته عائداً إلى منزله ، وتناول البرنامج أو وصوله وأخذ يمين النظر فيه ، لعله أن يتبين شيئاً ، مما كتب به . غير أنه لم يجد به الرسالة التي كان يفي نفسه بها . إذ لم يكن مسطراً بالبرنامج كلمات معينة يفهم منها شيء - اللهم إلا من بضع علامات موسيقية بالقلم الرصاص .

وفي حركة يائسة اعاد البرنامج إلى المنضدة يجواره .

وبدأ يضيق ذرعاً بهذا الغموض الذي يكتنفه الغموض من كل ناحية ، وبخيبة الأمل كلما خيل اليه انه يقترب من إماطة اللثام عن سر هذه المرأة الغامضة . وعادت لمحات الأمل تتسلل إلى ظلمة ذهنه ، حينئذ دار بخلفه هذ التساؤل :

« لماذا استجابت لندائه بالصحف ؟ وفيم كان هذا اللقاء عند الجسر ، وفي الحفل ؟ إن في ذلك كله ما يدل على انها لن تدعه يتخبط في ظلام الشك والحيرة . »

وعاد يلتقط البرنامج ، ثم نهض الى النافذة يطل منها . وبعد قليل ،لقى نظرة على البرنامج ، وحاول ان يترنم بالنوطة الموسيقية المدونة بقلم الرصاص وبداله ان اللحن مألوف لديه . فأعاد الترنيم بصوت أهدى .

وازداد اقتناعاً بأن اللحن ليس جديداً عليه .

وابتعد عن النافذة ، وجلس مسترخياً في مقعده ، يقاب الأمر على كل

ناحية . ورأى ، فيما رأى ، انه قد يكون من الخير له ان يغادر لندن
ويسافر لزيارة العمه ماتيلدا التي تقيم بشقة فسيحة في جناح قصر قديم بالريف
ورثته عن جده .

كما انه يشعر ، بين حين وآخر ، بالحنين إلى هذا البيت الذي كان يقضي
فيه أيام العطلة المدرسية وهو صبي ، حيث كان يطيب له ان يتأمل صور
أسلافه كبار شخصيات الأسرة ، مستعيداً في حياته ما كان يسمعه عن
أجدادهم وقرانهم .

تري ، لماذا عادت اليه هذه الذكرى ؟ لعلها تلك الرغبة الكامنة
في القساء نظرة على صورة شقيقته بامبلا ، التي التقطت لها منذ
عشرين عاماً

انه يريد ان يطيل النظر فيها ويتأملها عن كثب ، ليتبين هذا الشبه بينها
وبين تلك الغريبة التي اقتحمت عليه حياته وعكرت صفوها .
ومد يده يسلك ببرنامج الحفل ثانياً وهو غاضب محنق ، وراح يترنم بضمون
النوتة الموسيقية المدونة بقلم الرصاص :
« تم تم ، تي تم » .

ثم أدرك لتوه ماذا تعني ، وما هو كنهها بأكثر من حديث عام عن الموسيقى
موضوع الحفل ، وكذلك الالية الماضية ، الذي لم يكن موجهاً اليه في
الظاهر .. تلك هي الرسالة التي لم تكن لتعني أحد سواه ، إذ لم تكن .
كان شأن المذكرة التي دونت له بأحرف موسيقية لا يمكن ان يفهم منها
أحد شيئاً سواه .

سيجفريد الشاب ، لا بد وان لهاتين الكلمتين معنى خاصاً ، ليس عليه
الا التريث لعله يهتدي لما يمكن ان يكون (سيجفريد الشاب) ماذا تعني هذه
الملحمة بحق السماء ؟ لماذا وكيف ومتى وأين ؟ يا اسخرية القدر ! ان يصبح
ستافوره ناي فريسة لأحابيل غيره .

واتصل تليفونياً بالعمة ماتيلدا . وسمعتها ترحب به قائلة :
.. لسوف يسمعدنا مجيئك .. دونك قطار الرابعة والنصف ، وسيكون
هوراس في انتظارك اتفقنا .
- ألا يزال بخدمتم .
- بكل تأكيد .
بدأ هوراس حياته في خدمتهم صبيياً ، ثم حوذاً ، ثم سائقاً ، ثم ها
هو لم يزل في خدمتهم وقد جاوز الثمانين .
وابتسم السير ستافورد راضياً هادياً النفس .

قالت العمدة ماتيلدا وهي تصعده بنظراتها :

- لقد ازددت وسامة بتلك السمرة التي اكتسبتها في الملايو . ألم تكن في الملايو ؟ أم كان المؤتمر في سيام أو تايلاند ؟ إنهم يغيرون أسماء الدول في هذه الأيام بحيث أصبح من العسير التمييز بينها واستيعابها . مهما يكن من أمر فإن المؤتمر لم يكن في فيتنام اليس كذلك ، وقد أصبحت أضيق ذرعاً بسراع هذه الأسماء المتداخلة المشوشة ، فهذه فيتنام للشالية وتلك فيتنام الجنوبية وهؤلاء الفييت كونج وآخرون الفييت لار ؛ إلى آخر هذه الأسماء التي لم نكن نسمع بها قبلاً وفي رأيي أنه لو قدر لكل شعب أن يترك على سجيته لارتاح العالم من هذا العناء .

- اني معجب بأرائك دائماً . كيف حالك يا عمتي العزيزة ؟

وأودع السير ستافورد فاي وجنة عمته المتفضلة الشاحبة المعطرة ؛ قبلة التحية والاحترام .

وقالت له الليدي ماتيلدا كليكمهيتون :

- قد تقدم بي العمر يا بني أنك لم تعرف بعد ماذا يعني هذا إنها الأمراض تتوالى وثمة دائماً ما تشكو منه ؛ والآن فلتنصّرني بالسر في هذه الزيارة الفجائية .

وبغت السير ستافورد بهذه الصراحة غير المتوقعة وارتج عليه القول قبل
ان يجيب :
- كيف ؟ اونسيت انه من عادتي ان أقوم بزيارتك اتر عودتي من رحلاتي
في الخارج ؟

هلا اقتربت بمقعدك قليلاً ؟ ان حاسة سمعي تزداد ضعفاً منذ ان زرقتني
أخيراً . انك على غير ما الفت ان أراك فلماذا ؟
- لأنني عائد من بلاد حارة .
- هراء ! لا تراوغي الا أعني هذه الناحية أهو الحب أخيراً ؟
- الحب ؟

- كنت أشعر بأنه سيأتي يوم يدهمك فيه هذا الحب .. ككسائر
الرجال

- هلا حدثتني بما يدعوك إلى هذا الظن ؟
- ما طراً عليك من تغيير . ثم هلا حدثتني انت عما يتناقله الناس عن
نزعتك المجونية التي تقف حبر عثرة في سبيل مستقبلك ؟ إن السلك السياسي
لا يجب من رجاله مثل هذه النزوات .

وابتسم السير ستافورد ولم يجب بشيء بل راح يحول بمينيه في العرفسة .
فقالت له الليدي ماتيلدا :

- عم تبعث ؟
- عن صورك .
- لعلك لا تريد مني بيها ان كثيرين قد شرعوا في ذلك .
- كلا ليس هذا ما أبني اني مفرم بصورك شديد التعلق بها .
.. إنها سجل له قيمته للسلف وأجداه ترى أية صورة تريد ؟ صورة
بأميلا ؟

- نعم .. ولقد جالت صورتها في خاطري بالأمس الى الدهشة . فقد

ورثنا هذا الوجه عن اليكسا .

- ومن عساها ان تكون ؟

- جدتك الثانية ؟ وربما الثالثة ؟ تحسلا .. إنها مجرية .. كانت بارونة
او كونتيسة او شيئاً من هذا القبيل .. وحدث ان أحبها جدك الثالث حينما
كان صغيراً بفيينا .

- وهل توجد لاليكسا صورة بين مجموعة الأسرة كغيرها ؟

- نعم يمكن ان تجد صورتها بالطابق الأول أعلى الدرج بيننا .

- يجب ان اقي نظرة عليها قبل ان آوي الى فراشي .

- ولماذا لا تفعل الآن ؟ ثم تعود وتحديثي عما شاهدت .

ونفض مبتسماً وهو يعادر الغرفة ؛ إلى حيث ارتقى الدرج ؛ ووقف
يتأمل الصورة .

وجد ان هذا الوجه هو الذي وقع نظره عليه وانطبعت صورته في ذهنه
لا لما بينه وبين بامبلا من شبه ؛ وهو شيء مسلم به وإنما لما بينه وبين هذه صورة
من تماثل صارخ .

إذن فهذه هي صورة تلك الفتاة الجميلة الأنيقة التي أحضرها معه جده السفير
إلى الوطن .

وتساءل عما إذا كانت ثمة تربي بينه وبين فتاة المطار بوصفها إحدى
حفيدات هذه السيدة العظيمة ؟

وبادرت له ليدي ماتيلدا بسؤالها بعد ان عاد أدراجه إلى قاعة الجلوس :

- هل عثرت بالصورة ؟ وجه جذاب لا تمل النظر اليه ؟

- نعم وجه جميل صبور ..

- ولكنك لم يسبق لك السفر إلى المجر او النمسا ؛ اليس كذلك ؟ وما
اظن انك اقيت بمن تشبهها في مايزيا ؟ وقد كانت جدتك الكبرى من
طراز فريد . كانت حسنة الخلق مهيبة ؛ ولكنها كانت بالطائر البري ؟

نفور جور .

- وأنى لك كل هذه المعلومات عنها ؟

- في الواقع إنني لم أكن معاصرة لها ، لأنني ولدت بعد وفاتها بمسدة أعوام ، غير أنني كنت أحب أن أسمع لما يروى عنها ، وعن إقدامها وحبها للمغامرة .

- وماذا كان موقف جدي الأكبر من كل هذا ؟

- موقف من استبد به القلق حق الموت .. لقد كان مخلصاً لها ، وكان عصرهما عصر تزميت وقيود مبالغ فيها . عصر التقاليد الصماء . ومهما يكن من أمر ، فإنه خير من عصرنا هذا ، بانحلاله الخلقي ، وخنائسه المدللين ، وفتيانه اللاتي يذبن حباً عند معامهن الجيتار .. إن هذا الطراز من الشباب من الجنسين ، لست أدري كيف يمكن أن يصبح رجالاً ونساء قادرأ على مواجهة الحياة بمسؤولياتها وتبعاتها وأعبائها . ولنعد الآن إلى الحديث عنك والمغامرة الجديدة .

- ما الذي يدعوك الى مثل هذا الفكر بحق السماء ؟

... لأن هذا ما تنم عنه أساريك وان كنت تنكر ذلك .

... قلت لك انه لا يوجد ما أحدثك به .

- لقد كنت أعرف عنك دائماً أنك كذاب أشر ، حسناً على رسلك .

جيبها يوماً لزيارتي . هذا كل ما أبغني ، قبل ان يجهز علي الأطباء بالمضادات الحيوية . ترى أين كان اللقواء بينكما ؟ في ماليزيا على طاولة المؤتمر ؟ أم هي ابنة السفير أو الوزير ؟ أم تراك التقيت بها في الطائرة ، أثناء عودتك .

فلم يجد السير ستافورد بدأ أن يقول :

- بدأت تقاربين من الحقيقة .

- إذن فهي إحدى المضيفات ؟

. كلا ..

- إذن ، إحتفظ سرى ، إنى بالفة ما أرىء ذاء يوم . هءا شانى معك
ءائماً ان الئاس لا يعرف طرىقه إى قلبى .
وانتقل الءءىء بهما إى ما ىجرى فى العالم من قلاقل وفتن ، والى اسءقال
بعض الءهات لعنصر الشباب والءفرىر بهم . وأخىرأ قالىء العمء بعد ان ءوقء
قلبلا عن الكلام :

- ان ءارىء ىعمىء نفسه بطناءه وأءءائه وفكره وأسالىبه وبأبءاله ومءله
العلىا وبأءلام البعض ءءوالى وءءكرر مع ءغىىر اللفظ والمبءأ . فهءا هو
شان نظرىة (سىءفرىء الشاب) .

نظرت اليه العممة ماتيلدا ، بعينها الحادثين ، اللتين تتألفان ذكاه ،
وقالت .

- يخيل إلي انك لم تسمع بهذا الاصطلاح قبلاً ، اليس كذلك ؟
- وماذا يعني ؟

فرفعت حاجبيها دهشة وهي تسأل :
- ألا تعرف ؟

- اقسام بما تشائين ، اني أجهل معناه .
- ولكنك سمعت الاصطلاح قبلاً ؟

- نعم سمعته من شخص ما .

- أحد ذوي الشخصيات الهامة ؟

- ربما ، ماذا تراك تعنين « بندي الشخصية الهامة » ؟

- لقد قدر لك ان تشترك في عدة مؤتمرات ، ممثلاً بلادك بين كبار
القوم الموفدين للبلاد الأخرى ، ويمكنك ان تقدر بتجاربك الخاصة من عساه
أن يكون ذا الشخصية الهامة

إني لا زلت على صلة ببعض الأصدقاء القدامى ، الذين يحاطون علماً بما
يجري هنا وهناك ، وهم لا يزالون ، على رغم تقدمهم في العمر ، متوقفي

الذكاء ، صحيحي الحكم على الأشياء وتجديني التقط منهم مختلف الأنباء بين الحين والآخر .

ومن هذه الأنباء ذلك القنوط والخوف السائد بين ربوع العالم . إن العالم قلق غير مستقر ، بعد ان تغيرت فيه أوضاع كثيرة وطففت على السطح إبحرافات أكثر ، وأصبحنا في رقت ، لا يمكنك أن تثق فيه بأحد .

حسناً وبماذا تشيرين علي ؟

. أتسألني المشورة حقاً ؟ وأنت تعلم كم أصبح عمري ؟

- نعم أسألك هذا صادقاً .

. إننا نريد ان نتوصل الى منفذ يهديننا الى ما تعنيه هذه الكلمة المتداولة أخيراً . ألا وهي (سيجفريد الشاب) ولا أدري ما اذا كانت ترمز لشخص او لجماعة او لجواز مرور . غير انه لا بد ان يكون الاصطلاح رمزاً لشيء وهناك ما يجب ان نضعه في اعتبارنا ايضاً من هذه المعاني ؛ ألا وهو الخط الموسيقي لقد كدت أنسى أيام فاجنر ..

ان في موسيقى فاجنر ما يسمى نداء نغير سيجفريد . لم لا نقتني جهاز تسجيل ؟

- جهاز تسجيل ؟

.. نعم وتعلم كيف تؤدي نداء نغير سيجفريد وتسجله عليه . ان لك تذوقاً موسيقياً وفي وسعك ان تقوم بذلك وربما استطعت ان تستفيد به في الوقت المناسب للتأثير في القوم الخاطئين .

- ان لك آراءك القيمة دون شك يا عمته .

- ان طول العمر يبلغ بك هذه المرتبة . ان التقدم في العمر لا يتيح لك أن تذهب هنا وهناك . ان كل ما في وسعك أن تفعله هو ان تجلس في مقعدك وتمن التفكير أرجو ان تذكر قولي هذا بعد أربعين سنة .

- لقد أرت انتباهي بتنويه واحد .

- واحد فقط ؟ واحد فقط بين كل ما تحدثت به اليك ؟ ترى ما عساه أن يكون ؟

- ما قلته أنه قد يتسنى لي التأثير في القوم الخاطئين بجهاز تسجيلي ؛ هل هذا ما كنت تعنيه فعلاً ؟

- نعم لأن القوم الذين طى صواب لا يعنيننا أمرهم في كثير او قليل ؛ أما القوم الخاطئون فشيء آخر .. انك مع هؤلاء يجب ان تنفذ الى الأشياء وتطرق اليها . يجب ان يبذل الانسان أقصى ما في وسعه ولا يبخل بشيء في سبيل بلوغ الأرب .

-- لم يسعدني ان أستمع اليك وإلى أحاديثك الشعبية . سأغادر هذا القصر حاملاً معي ذخيرة من القول السديد الذي لا يذسى . وأعتقد أن لديك الكثير مما كان يجب ان تفضي به إلي ؛ ولكنك رأيت ان تحتفظي به في جعبتك .

- اني أرتقب اللحظة المناسبة .. ولنتق بأني أولي شؤونك ما هي جديرة به من اهتمامي ..

وأحظني علماً بأحوالك بين الحين والآخر ..

ثم انك مدهو للعشاء بالسفارة الأمريكية في الأسبوع القادم ؛ اليس كذلك ؟

- اين لك بهذه المعلومات .. اني مدهو فعلاً .

- وقد قبلت الدعوة ؟

- بحكم وظيفتي .. عجباً .. انك تعرفين الكثير .

- الفضل في ذلك لميللي .

- ميللي ؟

ميلي جين كورتمان زوجة السفير الأمريكي .. انها شخصية جذابة
حسنة المظهر أنيقة .
.. تعنين ملديرد كورتمان ؟

- نعم ! وهي تفضل ان تدعى ميلي جين بدلاً من ملديرد . وقد كنت
أتحدث اليها تليفونياً بشأن بعض حفلات البر .. ونحن نطلق عليها اسم
فينوس الجيب لصغر حجمها .
- ياله من اسم مناسب جذاب !!

بينما كانت مسز كورتمان مقبلة عليه مرحبة به .. استعاد السير ستافورد
ثاي في ذهنه الاسم الذي تطلقه عمته عليها

كانت ميللي جين كورتمان بين الخامسة والثلاثين والأربعين من سني حياتها
دقيقة الملامح ، زرقاء العينين ، يتوج رأسها شعر يتسق مع لون عينيها وصفاء
بشرتها .
وكانت من الشخصيات المحبوبة في لندن .

أما زوجها سام كورتمان فكان عملاقاً ، عريض المنكبين ، أقرب إلى
البدانة ..

وكان فخوراً بزوجه ا

وحيت المضيئة السير ستافورد ثاي قائلة :

- لقد عدت من الملايو ، اليس كذلك ؟ أرجو أن تكون قد
استمتعت برحلتك ، وإن كان الطقس غير ملائم في مثل هذا الفصل
من السنة .. إننا جد مسرورون بعودتك .. إنك تعرف ليدي الدورو
والسير جون ، وهرفون روكين ، وفراو فون روكين ، ومستر ومسز
ستاجنهام .

وكان ستافورد ثاي يعرفهم جميعاً ، وكان هنالك سيد هولندي وزوجه

لم يسبق له أن التقى بهما من قبل ، لأن الزوج كان حديث العهد بمنصبه
في لندن ..

أما ستاجنهام فكان وزير الشؤون الاجتماعية .. وهو شخصياً لا
يتميز بشيء .

واستطردت المضيضة
- وهذه هي الكونتيس ريناتا زركوفسكي ، وأعتقد انها قالت انكما سبق
أن التقيتما من قبل .
فقال الكونتيس :

- لعل هذا الالفاء ، كان منذ عام مضى ، حينما كنت في إنجلترا
أخيراً ..

ها هي ثانياً المسافرة من فرانكفورت . الواثقة من نفسها ، الهادئة
الأعصاب ، الأنيقة الهندام .
وكان شعرها معقوصاً إلى أعلى .. وقد زينت صدرها بحلينة من
الياقوت

رواصلت المضيضة عملية التعارف قالت :
- سنيور جاسبارو كونت ريتنر ، مستر ومسز أربوتنوت .

وكان عدد المدعوين حوالي الثلاثين ..
وكان مقعد ستافورد فاي ، ساعة العشاء ، بين المسز ستاجنهام وسنيورا
جاسبارو

أما ريناتا زركوفسكي ، فقد كان مقعدها في مواجهته تماماً .
هذا هو عشاء السفارات الذي دعى اليه غير مرة ، وكان لا يتغير نهجاً
أو أسلوباً ، إذ يجمع بين مختلف أعضاء السلك الدبلوماسي والوزراء ورجال
الصناعة ، ونجوم المجتمع ممن يخلو للمرة أن يلتقي بهم ، اللهم فيما عدا واحداً
أو اثنين .

وعلى الرغم من أنه كان مستغرقاً في حديث شهبي مع السنيورا جاسبارو إلا أن ذهنه كان منصرفاً عنها إلى حيث تتبعه عيناه في لمحات غير ملحوظة إلى ناحية أخرى .

وكان يتساءل فيما بينه وبين نفسه عن سبب دعوته إلى هذا الحفل ؟ وهل هي دعوة كسائر الدعوات ؟ أم كانت دعوته ، كما يحدث أحياناً ، لحفظ التوازن العددي بين الرجال والنساء ؟

أم تراها لسبب خاص معين ؟
أم هي دعوة جاءت عفواً الخاطر ..
أم دعوة أعد لها ؟

إلا الإجابة عن هذا كله عند السفير ، وعند زوجته .. أم لعلها عند
زوجها فقط ؟

هل يمكن ألا يكون هذا الحفل أكثر من اجتماع في أمسية عادية ؟

وراح يحول بعينه بين المدعويين الجالسين إلى المائدة ليتبين منهم المدهو الذي يوحى وجوده بما يساعده على وضع للنقط فوق الحروف .

هل يمكن أن يكون أحد هؤلاء المدعويين من الشخصيات الهامة ؟
ألا يحتمل أن يكون أحدهم من رجال المخابرات الأمريكية ، أو
غيرها ؟

إن هذا ليس بالأمر المستبعد في أيامنا هذه - إن ما يجري في هذا العالم
لم يعد يجري على النهج المألوف .

فهناك أمور تجري على مسرح الأحداث علناً ، وأمور بالغة الأهمية -
يجري من خلف الستار .

واستقرت عيناه لحظة على الجالسة في مواجهته ، وقد انفرجت شفاتها
عن ابتسامة وادعة ..

والتفت منها العينان

ولم تحدثه نظراتها وابتسامتها بشيء .
 ترى ، ماذا جاء بها ؟
 إذن فهي سيدة مجتمعة ، وموضع تقدير من الجميع .
 ولكنه يريد أن يعرف من هي حقاً .. وما هو وضعها بين أعضاء هذا
 المجتمع .
 وكانت مخاض الذكاء تبدو في وجه هذه السيدة التي بادرت بالحديث في
 غير حرج في مطار فرانكفورت .
 أكانت تلك المرأة بكل ما فيها من إقدام وجسارة هي الحقيقية ..
 أم هذه التي تجلس قبالة كسيدة مجتمعة في حفل عشاء دبلوماسي هي
 الحقيقية ؟
 أي دور من الدورين تقوم بأدائه ؟
 أم ترى لها أكثر من شخصيتين ؟ هذا ما يريد أن يعرفه ويميط
 اللثام عنه .
 وهل كانت هذه الدعوة حيث دعيت هي محض مصادفة ؟
 وحينها كان يدور بخله هذا السؤال نهضت ميللي جين من مقعدها ،
 وحذت سائر السيدات حذوها
 ونبجاة ، دوى في الجو صخب وضجيج لم يكن متوقفاً ، مصحوباً بصراخ
 وصياح في الخارج .
 وأعقب هذا صوت تحطم زجاج وطلاقات نارية ، وتعلقت سنيورا جاسبارو
 بذراع ستافورد قائلة .
 - رباة ! ماذا يحدث ثانية ! إنهم هؤلاء الطلبة ، أنهم يقاومون رجال
 الشرطة ويقاتلونهم ، ويأبون إلا أن يتظاهروا في الطرقات ويخلو بالأمن والنظام
 لدينا منهم الكثير في روما وفي ميلانو . ومثلهم كثير في كل مكان من أوروبا
 ماذا يريد هؤلاء الشبان الأغرار ؟

وتطرق الحديث بالرجال او قل بالبعض منهم إلى السياسة .
وكان ستافورد يبدو وكأنه يستمع إلى هذا وذاك ، وإن كان في الحقيقة
منصرفاً عنهم بذهنه إلى موضوع آخر .

وأخيراً نهض الرجال ليلاحقوا بالسيدات في قاعة الاستقبال
واتخذ السير ستافورد ناي له مقعداً إلى جانب سيدة ذهبية الشعر ، له بها
معرفة عادية .

وكان يعلم عنها أنها ثرثرة في غير ما يضجر ويبعث في النفس الملل عن
أحاديث السياسة والأحداث العالمية . وانها تعرف الكثير عن رفيقاتها
وصديقاتها .

ولم يعمد ستارد ناي إلى توجيه أسئلة اليها عما يهدف إلى سماعه منها ،
بل حول دفة الحديث بلباقة ، وبدون أن يشعرها بذلك ، الى ما ينبغي ،
فسمعها تتحدث عن الكونتيس ريناتا زركوفسكي قائلة :

— انها لازالت بهية الطلعة ، جميلة وضاعة الهيا ، انها لا تتواجد في لندن
كثيراً ، انها تقضي اغلب ايامها في نيويورك ، او في تلك الجزيرة الرائعة في
البحر الأبيض المتوسط .

إن شقيقتها متزوجة من ملك الصابون السويدي الجنسية فيما اعتقد ،
وهي فاحشة الثراء ، كما انها تقضي بعضاً من وقتها في تلك القلعة بالقرب من
ميونيخ ، وهي ذواقة للموسيقى شفوفة بها ، لقد قالت أنها سبق أن التقت بك
اليس كذلك ؟

فقال ستافورد .

— بلى منذ سنة او سنتين

— أعتقد أن هذا اللقاء قد تم حينما كانت في إنجلترا من قبل ويقولون
انه كان لها دور في أزمة تشيكوسلوفاكيا أو في اضطرابات بولندا ، لست
أذكر على وجه التحديد .

والمخرطت في حديث طويل عن بعض الأحوال المالية والشؤون الاقتصادية والقيود النقدية .

إلى أن قاربت السهرة نهايتها ورأى ستافورد انه لم يحصل على الكثير من المعلومات عن زميلة السفر من فرانكفورت - اللهم إلا بالنسبة لكثرة أسفارها ووضعها الاجتماعي والعائلي الذي يتيح لها الكثير من الاتصالات .
ودار بخلده للحظة خاطفة انها جاسوسة .
وقد بداله أن هذا الخاطر هو الأقرب احتمالاً ، وهذا هو التفسير المرجح ..

إلا أنه لم يكن يشعر في قرارة نفسه بأنه مقتنع به كل الاقتناع .
وقاربت السهرة نهايتها .. وجاء دوره أخيراً لتولية مضيافته بعض رعايتها .

وكانت ميللي جين خير من يتقن تحية ضيوفه .
قالت :

- كنت أتوق إلى فرصة لالتحدث اليك ، أريد أن أسمع الكثير عن الملايو إن اساء هذه الدول الآسيوية المستعدهنة تختلط علي ، حدثني بما جرى هناك نرى .. هل كان هناك ما بلغت النظر ويشير الانتباه .. أم لم يكن ثمة جديد ؟

تلك الزرقة الداكنة في عينيها - كان لها تأثيرها العميق فيمن نتحدث اليه ، تماماً كتأثير عيني القط الفارسي في أسيره .
وكان بوده لو تسنى له أن يسبر غور ميللي جين وينفذ إلى أعماقها ، إنها ليست بالمرأة العادية ، عقلية وتدبيراً ، وإرادة .
إن نظراتها اليه توحى بأنها تريد منه شيئاً .

* * *

كان ميدان جرسفينور هادئاً تماماً ، وكانت افاريزه تحمل بقايا الزجاج
المحطم ، والبيض والطماطم وغير ذلك من آثار مظاهره اللطيفة .

وتعاقبت السيارات إلى باب السفارة تنقل الضيوف المنصرفين وكان
رجال الشرطة منتشرين في أنحاء الميدان استعداداً لما عساه أن يحدث .
وسمع السير ستافورد ناي ، صوتاً عميقاً ، موسيقياً .. يهمس في
أذنه قائلاً :

- إنك لا تقيم بعيداً عن هنا ، اليس كذلك ؟ يمكنني أن اصطحبك معي
في طريقي إلى حيث أقيم .

- كلا .. كلا .. إن المسافة لا تستغرق أكثر من عشرة دقائق سيراً على
الأقدام .

فقالت له الكونتيس زور كوفسكي :

- أوكد لك أنه سيكون من بواعث سروري أن اصطحبك معي اني أقيم
في فندق سانت جيمس تاور .
فقال ستافورد :
- هذا كرم منك .

وركب السير ستافورد ناي السيارة الفاخرة مع الكونتيس رينسا ،
وكانت هي التي اعلمت السائق بعنوان السير ستافورد ناي ، ومضت السيارة
في طريقها ..
وقال لها :

- وهكذا تعرفين أين أقيم ؟

- ولم لا ؟

- بلى ، ولم لاحقاً .. انك تعرفين الكثير ، اليس كذلك ؟ لقد كان جميلاً
منك ان تعيدي الي جوازي .

- لقد رأيت اني بهذا قد أجنبك بعض المضايقات والحيرة والقلق ..

وقد يكون من الأوفق أن تحرقه .. إذ المفروض انهم زودوك بجواز سفر آخر ..

- تماماً، يا سيدتي ..

- وستجد معطفك المفضاض في قاع درج دولابك ، لقد أودع هناك اللبلة . ولقد رأيت أن أعيده اليك لأنه قد يتعذر عليك شراء غيره .

- إن هذا المعطف سيمنني الكثير لدي ، بعد أن اقتنيت بهذه المفامرة ، أرجو أن يكون قد ادى الغرض المقصود ..

- أجل ، وعلى اتم وجه ، لأنني ما زلت على قيد الحياة .

ولم يعقب السير ستافورد بشيء ، وكان يشعر في قرارة نفسه بأنها تريد منه أن يوجه اليها بعض الأسئلة وأن يلح في الاستفسار منها عن حقيقة امرها وعن المصير الذي نجت منه .

إنها تريد أن يكشف عن فضوله ، ولكنه عقد العزم في قرارة نفسه على ألا يكون ذلك الفضولي .

وسمعها تطلق ضحكة رقيقة قبل أن تقول له .

- هل استمتعت بأمسياتك ؟

- ان أمسيات ميللي جين دائماً جميلة .

.. هل لك بها معرفة وثيقة ؟

- كنت أعرفها في نيويورك قبل أن تتزوج .. وبطلت عليها امتق

فينوس الجيب .

- وهل هذا الاسم من ابتكارك ؟

- في الواقع لا .. لقد سمعته من إحدى قريباتي المتقدمات في

السن ..

- انه وصف لا نسمع به في ايامنا هذه .. وانه لمنطبق عليها

فملاً ، ولكن فينوس فائنة ، مغرية . اليس كذلك ؟ اترها طموحة

أيضاً ؟

-- هل ترين في ميللي جين كورتمان أنها طموحة ؟

- نعم .. إنها الصفة الغالبة عليها !

- وهل ترين ان تونها زوجة السفير الأمريكي لدى بلاط سان جيمس لا

يرضي طموحها؟

- كلا بكل تأكيد ، إن ذلك مجرد بداية

ولم يعقب بشيء ، كان يتطلع إلى الطريق ، وكان يحم بأن يحدثها بشيء ،

ولكنه توقف عن الكلام .

لقد تبين نظرتها الخاطفة اليه وهي ملتزمة بجانب الصمت .

وظلا على هذه الحال إلى أن بلغت بهما السيارة أحد جسور نهر التيمس ،

فبادرها بقوله .

- معنى هذا انك لست في طريقك إلى منزلي ، إلى أين ستذهبن بي ؟

فقلت الكونتيس :

- وهل لك اعتراض

-- نعم ، فيما أظن .. ترى أهو اختطاف ؟ ولماذا ؟

- لأنني وكما كان الأمر من قبل بحاجة ماسة اليك ، كما ان ثمة آخرين بحاجة

اليك أيضاً ، الا بطيب لك هذا ؟

- كان يسرني هذا لو سئلت المفتونة اختياراً

-- وهل كنت توافق على أن تصحبني ؟

فقال ستافورد :

- قد أوافق وقد لا أوافق

- انني جد آسفة .

وران عليهما صمت مطبق ، بينما كانت السيارة تمضي بهما في أحد الطرق

الرئيسية .

وأمن ستافورد النظر ليتبين أي طريق يسلكون . إن السيارة تنحرف
بها أحياناً عن الطريق الرئيسي لتعود إليه .

وكاد ان يستفسر من رفيقته عما إذا كان هذا الانحراف خوفاً من أن
يكون ثمة من يتعقبها من لندن .

غير انه آثر أن يطبق شفقيه اتباعاً لما اختطه لنفسه من سياسة الصمت
وأن يدع لها فرصة الكلام اذا شاءت .

وأخيراً بلغت بهما السيارة وجهتها ، واجتازت بهما الأبواب الى ممشى
تحف به الأزهار القرمزية من الجانبين .

ثم توقفت بهما بعد أحد المنحنيات أمام بيت كبير .
فقال ستافورد :

- اعتقد ان هذه هي نهاية رحلتنا ؟

- لعل البيت لا يروق لك من الخارج .

- ولكنه يتطلب الكثير من المال للمحافظة عليه وليست كل سائل

الراحة لمن يقيم به .

- فعلاً ، انه بيت لا ينقصه شيء من وسائل الراحة ، وان كان لا
يبدو جميلاً من الخارج ، ان الرجل الذي يقيم به يفضل الراحة والدعة على
الجمال .

- ربما كان مصيباً في ذلك . وان كنت أرى انه يقدر الجمال في
فراح اخرى .

وغادر ستافورد السيارة ومد ذراعه ليعين الكونتيس لتلحق به ، وتقدمها
السائق ليعلم قدمها .

ثم التفت الى السيدة متسائلاً

- ان تكوني بحاجة الى الليلة ، يا سيدتي ؟

- كلا .. سأتصل بك تليفونياً في الصباح .

– طابت ايلتك يا سيدتي .

وسمع وقع خطوات في الداخل فتح بعدها الباب على مصراعيه ، وكان السير ستافورد يتوقع أن يكون القادم كبير الخدم .
غير انه رأى مشرفة قد وخط المشيب شعر رأسها ، منتصبه القامة قوية الشخصية ، من ذلك الطراز الذي يندرج وجوده في أيامنا هذه . فقالت لها رينا :

– أخشى أن اكون قد تأخرت قليلا .

. إن السيد في المكتبة ، رقد طلب ان تذهبا اليه بمجرد وصولكما .

تقدمتها المشرفة مرتقية الدرج المريض الى الطابق الأول، ورأى ستافورد
ثاي مما حوله انه في بيت رجل ثري . وخطت المرأة إلى أول الأبواب تفتحه
وتنتحي جانبا لتفسح لها طريق الدخول ، دون ان تعلن عن اسميهما .
وتبع السير ستافورد ثاي الكونتس ، ثم سمع الباب يوصد بهدوء ،
من خلفه .

وكان بالغرفة أربعة رجال ، وقد جلس إلى مكتب كبير غطته الأوراق
والمستندات وخريطة كبيرة او اثنتان ، رجل ضخم بدين شاحب اللون ،
وكان الوجه مألوفاً لديه ، وإن لم يستطع ان يذكر اسم صاحبه ، ولا أين
التقى به .

ونفض الرجل ، الجالس الى المكتب ، ماداً يده إلى يد الكونتس رينانا
قائلاً .

- ها قد وصلت أخيراً رائع .

- دعني أقوم بواجب التعارف بينكما، وإن كنت أعتقد انك تعرفه السير
ستافورد ثاي ، مستر روبنسون .

وومض في ذهن ستافورد خاطر كالبرق .

بكل تأكيد ان هذا الاسم يقدرن باسم آخر هو اسم بايكواي . ولكنه لا

يستطيع ان يزعم انه يعرف كل شيء عن مستر روبنسون . إنه لا يعرف عنه إلا ما أراد له مستر روبنسون ان يعرفه . وحق الاسم روبنسون قد لا يكون هو الاسم الحقيقي ، وهو يعرف عنه انه يمثل كلمة « المال » بأحلى معانيها وبكل نواحيه .. المال الدولي العالمي ، الوطني والمصري . إنه يمثل المال ، وان كان مظهره لا يوحي بأنه ثري بينما هو في الواقع رجل فاحش الثراء ، إنه يمثل قوة المال بكل مفهوم الكلمة .

وبادره مستر روبنسون قائلاً وهو بصافحه :

— سمعت عنك منذ يوم او يومين من صديقنا بايكواي .

والجلى كل ما غمض في عقل ستافورد ، لأنه استعاد الذكرى الفريدة التي تم فيها اللقاء بينه وبين المستر روبنسون بحضور الكولونيل بايكواي . وما هو الآن يلتقي أيضاً بماري آن او الكونتس زر كوفسكي ؟ التي تحدث عنها وعن روبنسون مستر هورثام بحضور بايكواي وانتقل ستافورد بعينيه إلى الثلاثة الآخرين لعله يتعرف عليهم وعلى دورهم .

وما كان بحاجة للحدس او لإعمال الفكر بالنسبة لاثنين منهم . فقد كان الرجل الجالس يجوار المدفأة والمتقدم في العمر معروفاً في جميع أنحاء إنجلترا ، وان كان لا يراه الناس إلا نادراً إذ انه رجل عليل معتكف اضطره المرض لذلك . إنه اللورد التامونت .

ومد الرجل يده الى ستافورد فاي الذي اتجه اليه . وقال اللورد في صوت خافت :

— معذرة ، إذ اني لا أستطيع النهوض لمرضي .. انك عائد لفورك من الملايو اليس كذلك ؟
— بلى .

— اعتقد انك لم تجد في هذه الرحلة أي عناء . ومع ذلك فعلينا ان نشترك في مثل هذه المؤتمرات المظهرية يسرني أنهم أتوا بك الليلة الينا ا هذا من

فعل ماري آن فيما أعتقد ؟

إذن فهذا هو اسمها لديهم ، وهذا هو رأيهم فيها ، إنه الاسم الذي اشار به هورشام اليها . إنها ضالمة معهم إذن وليس من شك في ان التامونت يعمل في صالح المجلثرا وانه سوف يظل يعمل لأجل المجلثرا الى ان يدفن في مقابر وستمنستر .

إنه لم بكل شيء عن المجلثرا ورجالاتها ، ويعرف كل شيء عن أعضاء الحكومة وان لم يلتق بهم .

وأردف لورد التامونت قائلاً :

- زميلك السير جيمس كليك .

ولم يكن لستافورد معرفة بكليك كما انه لا يعتقد انه سمع باسمه قبلاً . وقد رأى فيه رجلاً قلقاً ، لا يستقر له قرار ، حذر النظرات ، متوثباً للانهضاض في انتظار كلمة سيده .

لكن من عساه ان يكون سيده ؟ التامونت ام روبنسون؟ وانتقل ستافورد بعينه إلى الرجل الرابع وكان قد نهض عن كرسية الذي كان قرب الباب . وكان كث الشارب منظوباً على نفسه وان كانت في عينيه نظرات من لا يفقل عن شيء .

وبادره السير ستافورد قائلاً :

- أهذا أنت يا هورشام كيف حالك ؟

- يسرني ان الملقى هنا يا سير ستافورد .

وكافوا قد أعدوا لريناتا مقعداً بقرب المدفأة واللورد التامونت ومدت إلى هذا الأخير يدها اليسرى .

فأخذها بين يديه وهو يربت عليها قائلاً :

- لقد خاطرت يا صغيرتي وانك لتخطرين كثيراً .

وتطلعت اليه قائلة :

- إنك دربتني على هذا وهو السبيل الوحيد للحياة :
وخلى اللورد التامونت بينه وبين يدها قائلاً ، وهو يستدير برأسه إلى السير
ستافورد ناي :

- لم أكن أظن الذي لفتك كيف تختارين رجلك . إن لك مواهبك الخاصة .
إن لي معرفة بعمتك الكبرى يا سير ستافورد . إنها إحدى بقايا العصر
الفيكتوري . لعلمها قد بلغت التسعين من عمرها . إننا لا نلتقي كثيراً . مرة
أو مرتين في العام تقريباً غير أن هذا اللقاء يسعدني دائماً كما تجدني معجباً بكل
ما فيها من قوة عقلية وبدنية .

وانبرى السير جس كليك قائلاً :

- ناي دعني أقدم لك شراباً ، ماذا تفضل ؟

- جين بالكينا إذا تكرمتم .

وحمل جس كليك الشراب إلى ناي ووضعه فوق المنضدة يجوار مسر
روبنسون ، ورأى ستافورد ناي ألا يبدأ الحديث . وقالت عينا الجالس إلى
المكتب وهو يقول :

- هل لديك أسئلة تريد توجيهها ؟

- الكثير . وإن كنت أرى أن نبدأ بالايضاحات ثم بالأسئلة .

- ليكن لك ما تريد .

- قد تعرضت لعملية خطف . وهي من الأساليب السائدة في أيامنا هذه .

وإني أسأل لماذا ؟

- يعجبني اقتصادك في القول ، أن ما تراه هو اجتماع خاص ، لجنة تقصي

حقائق في موضوع له أهمية عالمية عريضة .

- يبدو لي أن الأمر شيق .

- أنه أكثر من شيق ، أنه مؤثر وعاجل ، أن أربعة أنماط للحياة ممثلة بهذه

الغرفة الليلة .

وأردف اللورد التامونت موضحاً :

- إننا نمثل نواح مختلفة . ورغم انني اعتزلت الحياة العامة في هذه البلاد الا انني لا زلت قوة استشارية لها قدرها . وقد سئلت الرأي وطلب الي أن أراس هذه اللجنة الخاصة المنوط بها تقصي حقائق ما يجري في عالمنا هذا وجس هو يدي اليمنى في هذا العمل البالغ الأهمية وهو المتحدث باسمنا . جس عليك بايضاح كل شيء لستافورد فاي .
فاتكأ جس برفقيه الى الامام وقال :

- الملاحظ ان ثمة أحداثاً تجري في العالم ، والواجب يقضي ان نطيل النظر في الأسباب . ان الظاهر يختلف عن الباطن ، والمهم ان نكسب على تمحيص هذه الأمور ، فلكل ظاهرة عواقبها ، ولكل ظاهرة من يسيطر عليها ويتحكم فيها .

وقياساً على ذلك يجب البحث عن اللذين يسيطرون على القوى الصاعدة في أوروبا وآسيا وافريقيا ثم في قارتي أميركا .
علينا ان نتحرى ونبحث حتى نتهدي الى الدوافع الخفية ان هناك عنصراً واحداً تنفجر منه هذه الدوافع وهو المال .
وأشار الى مستر روبنسون ثم تابع :
- والمستر روبنسون هو خير العارفين بشؤون المال .

وانبرى المستر روبنسون قائلاً :

- ان الأمر بمنتهى البساطة . فثمة حركات كبرى تعم العالم ، ولا بد ان تكون تستند الى المال وعلينا ان نتهدي الى مصدر هذه الأموال كما علينا ان نميط اللثام عن الاتجاهات العديدة . وهذه الاتجاهات تندرج تحت عنوان واحد ، ألا وهو التمرد والثورة ، بصورة او بأخرى ومن بلد الى آخر أتراني قد أوضحت ؟

ونظر روبنسون الى اللورد الذي قال :

- نعم .. لقد أحسنت .. انها حركات معدية تنتشر كالوباء ويضعف من انتشارها هؤلاء الذين أوتوا القدرة على إثارة حماسة من يستمعون اليهم . وهذه القدرة لا تكمن في الكلمات المسموعة بقدر ما تكمن في الطاقة المغنطيسية لهؤلاء حركة وصوتاً وإيماء .

وتحرك فاي في مقعده قائلاً :

- أدرك ما تعني ، وما تقوله جدير بالتدبر .

- أرجو الا ترى فيه مبالغة .

- كلا لا أرى شيئاً من ذلك . ولم يعد يوجد في عالمنا هذا ما هو مبالغ فيه . وبهذه المناسبة هل لي في ان أوجه سؤالاً ؟ ماذا عسانا ان نفعل ازاء هذه الظواهر ؟

فانبرى اللورد مجيباً :

- اذا ساررك الشك فيما يجري من أمور فيجب في البدء البحث عن مصدر المال ، وعن مكان الرأس المدير ، وهذا الذي نحاول عمله ، وهذا ما نريد منك أن تعيننا عليه .

ولم يحدث كثيراً ، فشمع السير فاي بأنه أسقط في يده ، فراح ينقل البصر من رجل الى آخر ، وتأمل كل واحد منهم قليلاً . ثم ركزت عيناه على تلك السيدة الجالسة في هدوء والتي اصطحبتته الى هذه الغرفة الكونتس ريناكا زركوفسكي الشهيرة بباري آن ، ودافني تيودوفانوس سابقاً . ولم يحادثه وجهها بشيء ورأى انها تكاد تنكر وجوده .

واخيراً اتجه بنظره الى مسنر هنري هورشام رجل الأمن . ودهش اذا الفاه يبتسم له .

وبادره ستافورد قائلاً

- اسمعوا جيداً لما أقول ، أين مكاني من كل هذا ؟ ماذا أعرف ؟ اصارحكم القول ، بأني لست من الرجال البارزين في مهنتي . ان رأي وزارة الخارجية

في شخصي رأي متواضع .

فقال اللورد :

- نعرف هذا .

وتبسم جس كليك معقبا :

- قد يكون في ذلك بعض الخير .

وانبرى المستر روبنسون قائلا

- هذه لجنة تقصي حقائق ولا يعنيننا في كثير او قليل ما فعلت في الماضي

او رأي الآخرين فيك ، لقد طلبنا اليك الانضمام الينا ، لأننا رأينا انك تكون

خير عون لنا .

واستدار ناي صوب رجل الأمن قائلا :

- وما رأيك يا هورشام ؟ اني لا أصدق انك توافق على ذلك .

فقال هنري هورشام :

- ولم لا ؟

... وعلى أي أساس اتخذتم هذا القرار ؟ وما هي الصفات التي رشحتني ؟ اني

لا أكاد أصدق نفسي .

فقال هورشام :

- لأنك لست من عبدة الأبطال ، ولا تعنيك تلك الهالات التي يحيط الناس

بها أنفسهم او يضيفها عليهم الآخرون .

ودار بخلد ستافورد ان ما سمعه من تعليل يدعو للتساؤل : أوتكون صفته

البارزة كرجل لا يحمل الأمور على محمل الجد ، هي التي رشحته لمثل هذا العمل

الجاد المسير ؟ قال :

- أجد لزاما علي ان أحذركم . إن ما يعيبيني حقا وما أساء إلي في حياتي

والمعروف عني اني لست بالرجل الجاد الذي يصلح لعمل كهذا .

قال هورشام :

- صدق أو لا تصدق. إن ما يعيبك هو أحد الأسباب التي أيدت ترشيحك
ليس كذلك يا سيدي اللورد ؟
فأردف اللورد قائلاً :

- إنها خدمة عامة ! دعني أحيطك علماً بأن أكبر عيوب ذوي المناصب
العالية المبالغة في التظاهر بالصرامة والجد . وعلمنا بأنك لست من هذا الطراز
هو الذي حدا بنا إلى اختيارك ، وهذا أيضاً رأي ماري آن فيك .

والنفت ستافورد اليها .. إذن ، فما هي قنادي بماري آن ، لم تعد
بالكونتس .

واتجه اليها فسألها :

- ما هي حقيقة أمرك ؟ أعني هل أنت كونتس حقاً ؟

- بكل تأكيد . لقد كان لأبي شأن ، وكانت له قلعة في بافاريا انها لا
زالت في موقعها . وفي عالمنا تتقدم الجميع الكونتس مها كانت فقيرة على المليونير
الأميركي الذي يملك ثروة خيالية في البنوك .

- وماذا عن دافن تيودور فافوس ؟

-- إنه اسم ينتفع به في جوازات السفر ، فقد كانت والدتي يونانية ؟

-- وماري آن ؟

وكانت هذه هي المرة الأولى التي يراها فيها قبصم وتطلعت إلى اللورد ثم إلى
المستر روبنسون ثم قالت :

- ربما كان هذا الاسم متفقاً مع حقيقة أمري باني أقوم بكل شيء ،
واذهب الى كل مكان ، وانتقل من هنا إلى هناك ، إلى آخر ما هو لهذا القبيل
أتراني نطقت بالحق ايها العم نيد ؟

ونظرت الى اللورد فقال هذا :

-- كل الحق ، يا صغيرتي . ماري آن ، لقد كنت دائماً وستظلين معنا .

فواصل ستافورد أسئلته لها :

- وهل كنت تحملين شيئاً بتملك الطائرة ؟ أعني تنقلين شيئاً هاماً من بلد إلى آخر ؟

- نعم ، وكان هذا واضحاً ، ولولا العمون الذي قدمته لي ، لما كنت هنا الآن ؟

- ماذا كنت تحملين ؟ ام لعله ليس من حقي ان أسألك عن ذلك ؟ أم هناك ما ان أعرف كنهه أبداً ؟

- ثمة الكثير من هذا القبيل أما سؤالك الأخير ، فأعتقد اني سأجيب عنه إذا أذن لي بهذا .

وعادت تنظر الى اللورد ثانية :

فقال لها اللورد :

- إنني أثق بحسن تقديرك للأمور فأشبعي فضوله

- لقد كنت أحمل معي ، شهادة ميلاد . ولن أصرحك بأكثر من هذا .

فدار ستافورد بعينيه بين الحاضرين قائلاً :

- فليكن . اني أنضم اليكم . ويسرني ان تجردوا في العضو الصالح . ما هي أولى خطوات العمل ؟

- سنفادر معاً هذا القصر غداً . وسنسافر إلى المانيا ، ولعلك علمت بخصوص المهرجان الموسيقي الذي يقام في بافاريا .

انه مهرجان استحدث منذ عامين فقط ، ويندرج تحت اسم الماني يعني « جماعة المفردين الشبان » .

وهي جماعة تتلقى المعونات من عدة بلدان وتحظى بتأييد البعض كما تلقى المعارضة الشديدة من آخرين .

.. لقد سمعت بها ، وهل سنحضر المهرجان ؟

- نعم لدينا مقاعد محجوزة لحفلاتين .

- وهل لهذه الحفلات ، أهمية خاصة ، بالنسبة لما نقوم به من تحريات ؟

.. كلا، انها يحسن ان نطلق عليه جواز مرور، اننا نذهب الى هذه الحفلات كتمهيد لما بعدها من خطوات أخرى .
وتطلع الى المجالسين فسأل :

- هل من تعليمات اخرى ؟ هل من توجيهات ؟
فقال المستر روبنسون :

- ليس بهذا المفهوم . انك ذاهب في رحلة استطلاعية ، وسوف تعلم الكثير في كل خطوة تخطوها . انك مسافر بشخصك ، غير مزود بأكثر مما تعرف في الوقت الحاضر .

انك ذاهب كمحب للموسيقى ، وكديپلوماسي يرجو ان يزيل عن نفسه المال هذا أفضل وأكثر أمناً . سوف تكون المسافر على غير هدى من بلد إلى آخر ومن مركز للقوى الى مركز غيره للقوى ، وسيكون في وسعك ان تجمع المعلومات كل ذر ذرع وفاعلية .

وعليك ان تعنى بحركات الشباب ، فإن هناك تنظيمات قوية للشباب في كل مكان تحض على كراهية الحكومة . وعصيان الآباء والخروج على التقاليد الموروثة . والارتداد عن الدين والتسيب واعتناق شريعة العنف .. ليس للحصول على المال . وإنما حباً في العنف لذاته ..

كل هذه الظواهر تثير قلق المسؤولين في جميع الأقطار .. ومهمتك هي تعقبها والتعرف على كل ما يتصل بها : من وماذا ولماذا وأين ؟

تلك هي الأسئلة التي تتركز عليها مهمتك ، وهذا ما يجب ان تهتدي الى سره ، أنت وماري آن وليس هذا بالشيء اليسير الهين . وأوصيك بكتمان كل سر تميظ اللثام عنه وتصل الى كنهه فإن نزعات البشر إظهار العلم ببواطن الأمور ، تأكيداً لأهمية شخصية المتحدث .

وأغمض المستر روبنسون عينيه ايذاناً بانتهاه اللقاء ، ونهضت الكونتس
وحذا ستافورد حذوها .

وسمع روبنسون يقول له :

– أرجو ان تقضي ليله وادعة وتستمتع بنوم هادىء وهذا البيت قد أعد
بجيث تتوافر كل اسباب الراحة .

وقتم ستافورد بأنه واثق من ذلك . وما ان أسند رأسه فيما بعد إلى مخدته
حق استسلم للنماس .

غادرا مسرح مهرجان الموسيقى إلى نسيم الليل المنعش .
وكانت ريناتا ترتدي ثوب السهرة ، من القطيفة السوداء .
كما كان ستافورد فاي مرتدياً حلة السهرة برباط عنقها الأبيض قال :

- ياله من حفل ممتاز ، لقد انفق في سبيله الكثير ، إن غالبية النظارة
من الشباب وما أظن أن لهم قدرة على هذه النفقات .
قالت ريناتا :

- أعتقد ان هذه أمور يصير تدبيرها من الاعايات ؟
- نعم ..

واتجهها صوب المطعم الكائن على سفح الجبل .
وقال ستافورد :

- أمامنا ساعة لتناول الطعام ، اليس كذلك ؟
فردت ريناتا :

- ساعة وربع على وجه التحديد

- إن معظم النظارة ، او كلهم من عشاق الموسيقى .
- معظمهم فعلاً إن لذا اهميته ا
- ماذا تعنين ؟

- أعني ان الحماسة للموسيقى يجب أن تكون أصيلة فيهم .
- لم أدرك ما تعنين على وجه التحديد ؟

- إن هؤلاء الذين يمارسون العنف وينظمون له يجب أن يحبوا العنف ،
ويريدونه ويتحمسون له ، وانك لتجد في كل حركة من حركاتهم طابع
الافتتان ، المتسم بالرغبة في الأذى والتدمير ، وهو نفس الوضع بالنسبة
لموسيقي .. إذ يجب أن تتذوق الأذن ، كل دقيقة من الألحان
وجمال الإيقاع .. بمعنى أن كلا من الاحساسين يجب أن يكون متصلا
في النفس .

- هل تعنين أن في رسك الجمع بين العنف وحب الموسيقى ، أو
حب الفن ؟
قالت ريناتا :

- نعم ، وإن لم يكن هذا من الأمور الهينة دائما ، فثمة كثيرون في
وسهم هذا ، وليس من شك في أنه من الخير عدم الجمع بين الدورين .
فرد ستافورد :

- فعلا ، وليحب عشاق الموسيقى موسيقاهم ، وليحب من يمارسون العنف
عنفهم ، اليس هذا أفضل .
- اعتقد هذا .

- لقد استمتعت بهذين اليومين ، وإن كنت لم استمتع بكل ما اصغيت
اليه من موسيقى ، لأن قدرتي للحديث منها ليس كاملا ولقد وجدت في الثياب
ما يشد الانتباه .

- تعني ثياب الانتاج المسرحي ؟

- كلا .. كلا ! لقد كنت أتحدث عن ثياب النظارة .. عن تلك
الثياب الحريرية الخملية ، وذلك الترف البادي في كل ما يتحلون به ،
انه طابع القرن الثامن عشر - أو فلنقل طابع عصر اليزابيث ، وفان

دايك !

- هذا حق

- انني لا أكاد أفهم ماذا يعني هذا كله ، انني لم أتعلم شيئاً ، كما انني لم
أكتشف شيئاً ا
قالت ريناتا :

- عليك أن تتذرع بالصبر انه عرض مسرحي فاخر ، بسانده ، ويطالب
به الشباب ، ويعوله ا
- من يا ترى ؟

- هذا ما لم نعرفه ، فسوف تعرف كل شيء .

- يسرني انك واثقة من ذلك .

وبلغا يسيرهما المطعم حيث جلسا إلى إحدى موائده .

والتقى فاي باثنين من معارفه أبنيا دهشتها وسرورها بهذا اللقاء ، وكان
الذين تعرفوا على ريناتا أكثر عدداً وأوسع دائرة ، من النساء والرجال على
حد سواء ، ومن مختلف الجنسيات - من الالمان والنمساويين والأمريكيين ،
وكان حديث الجميع عن العرض الموسيقي .

وكانوا جميعاً في عجلة من أمرهم ، لقصر امد فترة الاستراحة ، ولكي
يعودوا إلى مقاعدهم في الوقت المناسب .

وبعد انتهاء العرضين الباقيين ، غادرا المسرح إلى حيث وجدوا السيارة في
انتظارهما لتقلهما إلى الفندق الصغير بالقرية ، وبعد ان التقى فاي بتحيةة المساء
إلى ريناتا ..

قالت في صوت خافت

- الساعة الرابعة صباحاً ، كن مستعداً .

وأسرعت إلى غرفتها ..

وأسرع بدوره إلى غرفته ا

وفي تمام الساعة الرابعة إلا ثلاث دقائق من صباح اليوم التالي ، سمع طرقتاً خفيفاً على باب غرفته .

ففتح الباب ليجدها أمامه قائلة :
.. السيارة في الانتظار ، هيا بنا .

* * *

تناولا طعام الغذاء في حانة صغيرة ، وكان الطقس بديعاً ، ومنظر الجبال رائعاً ..

وكان ناي لا يفتأ يتسائل فيما بينه وبين نفسه ، عما أتى به إلى هذا المكان وكانت رفيقته في السفر تزداد غموضاً ، لا تتحدث الا قليلاً ، ووجد نفسه يتأمل وجهها خلسة ويتساءل :

تري إلى أين تقوده ؟ وفيم كل هذا العناء ؟ وأخيراً قال وقد كادت الشمس أن تغرب :

- إلى أين نحن ذاهبان ؟

- قد لا تجد في مجرد الاجابة عن سؤالك ما يشبع فضولك .

وراح يتأملها وهو مستغرق في التفكير ..

وكانت ترقدي ممطفاً من الصوف . وثوباً بسيطاً من ثياب السفر ، أجنبي الصنع .

فقال لها :

- ماري آن ؟

- كلا ، ليس بعد ، لا زلت الكونتيس زر كوفسكي

- أراك في موطنك الأصلي ؟

- لقد نشأت طفلة في هذه الناحية من العالم ، وكنا نزرع هذه الربوع في خريف كل عام
- هذه هي بلاد هتلر ، اليس كذلك ؟ انتم لا تبعد كثيراً عن بريختسجادن ؟

- إنها تقع في الشمال الشرقي .
- هل كان أصدقاؤك يؤمنون بهتلر .
- كانوا يكرهونه ، وإن كانوا يمجّدونه مضطرين .
- وما هي وجهتنا ؟
- أو يعنيك هذا كثيراً ؟
- السنا في رحلة استطلاع ؟
- بلى ، ولكننا ليست رحلة استطلاع جغرافية ، إننا في طريقنا للقاء إحدى الشخصيات .

- انك تشمرينني كأننا في طريقنا لزيارة رجل الجبال العتيد .
- تعني أمير الحشاشين ، ذلك الذي كان يحرص على أن يتماطى أتباعه المخدرات كي يستميتوا في الدفاع عنه ، وفي القتال من أجله ، مؤمنين بأن مصيرهم الجنة حيث الحشيش والنساء ، تباراً لأوائك المضللين الذين عرفتهم كل العصور . والذين جعلوا من أتباعهم بشراً مستعدين للذبح من أجلهم .
ولقد كان هتلر من هؤلاء ، وكان أتباعه هم المأخوذون ، ومهما يكن من أمر ، فإني لاتساءل عما حدا بك إلى الحديث عن رجل الجبال العتيد ؟

- هل أفهم من هذا ان هذا الرجل موجود ؟
- كلا ، ليس برجل فقد يكون هناك سيده الجبال .
- سيده الجبال كيف تبدو ؟
- لسوف ترى هذا المساء .

- وماذا نحن فاعلون في أمسيننا هذه ؟
 . نحن في طريقنا الى مجتمع ما .
- بلوح لي انه قد انقضت فترة طويلة منذ ان انتهلت شخصية ماري آن
 لآخر مرة .
- عليك ان تنتظر الى ان تقوم برحلة جوية أخرى ، وبالمناسبة يجب أن
 تتوخى الحذر الليلة .
- هل ثمة تعليقات ؟
- انك من المتذمرين الساخطين . انك ضد ما تعارف العالم على احترامه .
 انك من العصاة السريين . هل وعبت قصدي ؟
- نعم وسأحاول ان اكون هذا الرجل
- رركبا السيارة التي حملتها عبر المنحدرات وقرى الجبال ، والمهرقت بهما
 أخيراً الى إحدى الغابات ، حيث رأى ستافورد بعض الحيوانات الشاردة ،
 وبعض الرجال يحملون البنادق ويرتدون معاطف الجلد ، لعلهم كانوا من
 حراس الغابة .
- وبلغت بهما السيارة مكاناً يشرف عليه حصن بني على صخرة شامخة وكان
 جانب منه خرباً ، وجانب قد أعيد بناؤه واصلاحه . وكان في ضخامته يمثل
 سلطان الماضي .
- وسمع ريناها تقول :
- لقد كان هذا البناء في البداية مقراً لدوقية ليختنشتولز وقد شيد الحصن
 الغراندوق لودفيج عام ١٧٩٠ .
- ومن الذي يقيم به الآن الغراندوق الحالي ؟
- .. كلا لقد انقرضوا جميعاً .
- ومن يقيم بالحصن في الوقت الحاضر ؟
- أحد ذري السلطان في أيامنا هذه .

- سلطان المال ؟

- تقريباً .

- أترأه المسافر روبنسون وقد سبقنا جواً الى هنا ؟

- انه آخر من ستلقاه هنا ، كن واثقاً من ذلك .

- يا للأسف فقد أعجبت بمسافر روبنسون ما هي حقيقة أمره ؟

- لا اعتقد ان احداً يعرف الاجابة على هذا السؤال وانك تسمع الاقوال

المتضاربة عن حقيقة أمره ، فالبعض يقول انه تركي والبعض يقول انه أرمني وآخرون يقولون انه هولندي وغيرهم يقول انه انجليزي ، وهناك من يقول ان والدته شركسية ، او هندية ، الى آخر هذه الاقوال المتضاربة والتكهنات التي تزيد الامور غموضاً .

وتوقفت بهما السيارة امام باب ضخيم وأسرع اليهما اثنان من الخدم بزيم الخاص . وقام الخدم بمد أداء التحية بحمل حقائبهما العديدة الى الحصن ، والى الغرفة المخصصة لكل منهما .

وعادا ليلتقيا قبل العشاء .. فوقف ستافورد في البهو ينتظرها بمد ان رآها تهبط الدرج في جلال وبهاء ، وتقدمها أحد الخدم ، ليفتح الباب على مصراعيه معلناً :

- الكونتس زر كوفسكي ، السير ستافورد ناي .

ومهما يكن من امر ما كان يتوقع رؤيته ، فإنه لم يكن ليجول في خاطره انه سيرى ما رأى . . .

لقد وجد نفسه في قاعة فضمة فسيحة مؤثثة بأفخر الرياش والطنافس وقد ثبتت الى جدرانها لوحات لاشهر الرسامين العالميين .

وفوق أحد المقاعد الكبيرة الذي يبدو وكأنه عرش عظيم ، وكانت تجلس سيدة ضخمة بدينة مكنزة الوجه ترتدي ثوباً من الساكان البرنقالي ، وتضع على رأسها تاجاً رصع بالأحجار الكريمة ، وكان في إصبع يديها خاتم السولنير

الرائع النادر الوجود .

وعلى رغم كل هذا الجلال والبهاء ، وما احاطت به نفسها بن فاخر الرياش
كان ستافورد يراها بشعة ، وهي تصعد بعينيها السودارين اللتين تشمان دهاء
وذكاه . ودار بخلده لتوه هذا السؤال عن السبب في كل ما يمر به ، وظلت
أنظارها متعلقة به وكأنها عميل يحاول تقييم سلحته .

- لقد حافظت على موعدك يا صغيرتي .

وكان صوتها خشناً عميقاً .

وتقدمت منها رينانا تحيياً بالمخناة ، وتطبع على يدها قبلة الخضوع ،

وهي تقول :

- دهيني أقدم لك السير ستافورد ناي . . الكونتس شارلوت فون

فالدشوسين .

ومدت السيدة له يدها ، فأمسك بها يحيياً تبعاً للتقاليد الاجنبية . ثم

فرجىء بها تقول :

- اني أعرف عمك الكبرى

فوقف يميلق فيها ولم يجر جواباً . وخيل الي انها استمنعت بهذه المفاجأة

وبرقعها عليه .

ورآها تضحك قائلة :

- فلنقل انه كانت لي بها معرفة سابقة ، فقد انقضت أعوام كثيرة

دون ان نلتقي . فقد كنا معاً في سويسرا ، بلوزان ، في ههد الصبا .

انها أكبر مني عمراً ، أراها بصحة جيدة ؟

- بالنسبة لسنها ، يمكن ان أجيب بأنها في صحة جيدة .

- هل تعرف شيئاً عن زيارتك لي ؟

- ليست لديها أية فكرة عن هذه الزيارة ، انها تعرف فقط اني كنت مدعواً

الى مهرجان الموسيقى المصرية .

- أرجو أن تكون قد استمتعت بهذه الموسيقى ؟
 - غاية الاستمتاع ، وكانت دار الأوبرا رائعة .
- لقد انفق في سبيل هذه الدار الكثير .
 وسممها تذكر رقماً يبلغ الملايين من الماركات ، وراها قرية المين بما كان
 للرقم الكبير من وقع في نفسه .
 وتابعت قائلة :
- بالمال ، وبالمعرفة ، وبالقدرة وبمحسن التمييز ، يفعل المرء كل شيء ،
 وبالمال تحصل على أحسن الأشياء .
 فقال وهو يتطلع فيما حوله :
 - هذا ما ألمسه هنا .
- وجاءوا بمنضدة المشروبات ، وتبين السير ستافورد أن سيدة الحبيل لا
 تحبسي الحمر ..
 وسممها تسأل :
 - وأين التقيت برجلنا ؟
 - في السفارة الأمريكية بلندن .
 - نعم ، هذا ما قيل لي ، وكيف حال ، لقد نسيت اسمها ، آه ميللي جين
 جميلة اليس كذلك ؟
- ساحرة ، لقد صادفت نجاحاً كبيراً في لندن .
 - وسام كورتنام البليد الخامل ، سفير الولايات المتحدة ؟
 فقال ناي في لباقة :
 - انه رجل متزن معقول
 فأطلقت ضحكة استخفاف
 ثم قالت :
- انك رجل كيس ، الست كذلك ؟ فليكن ، لا بأس به حيث هو .

انه يصدع بما يؤمر به كرجل سيامي ويمكن ليللي أن تقوم عنه بما لا طاقة له به ، وإن لها من ثروتها خير معين ، فوالدها يمتلك نصف آبار بنزول تكساس علاوة على ضياعه ومناجه الأخرى . انه مثال حي لكبار أرباء الأمريكين ، وعلى الرغم من ذلك ، فإنها تتعلل بالبساطة ، مع ارسطراطية متزنة ، وأنت؟

- انك لست من الأرباء كما يبدو؟
- كنت أرجو أن أكون منهم .
- إن وزارة الخارجية لم تعد في أيامنا هذه كريمة .
- ولكنها تتيح لمن يعمل بها مشاهدة الكثير من البلاد ، والاجتماع بكثير من الناس والطواف بالحاء العالم ليرى ما يحدث فيه .
- بعض ما يحدث ، وليس كل ما يحدث .
- قد يكون هذا من المتعذر .
- ألم نعمل في نفسك الرغبة في رؤية ما يجري وراء الستار ا فقال لها :
- أحيانا يدور في خلدي شيء من هذا القبيل
- لقد سمعت ما يقال عنك وعن خواطرك ورأيك في بعض الأمور ، إنها ليست مما عارف الناس عليه ؟
- لقد شعرت أحيانا بأنني شرير الأسرة .
- وكان ستافورد يضحك وهو يقول هذا .
- وشاركنه شارلوت ضحكته .
- ثم فجأة سألته :
- ماذا تريد من الحياة ايها الرجل ا
- لا شيء ، لست أبالي بشيء .
- هيا ، هيا او تريد مني أن أصدق هذا

- نعم ، يمكنك أن تصدقني هذا ، فليست بالشخص الطموح ، أريدني
أبدو غير ذلك !
- كلا في الواقع ..

- إن كل ما أبغيه من الحياة ، هو أن استمتع بها في دعة وفي اعتدال ،
وفي مسرة .
واعتدلت السيدة في مقعدها
وفتحت عينيها وراحت تحدجه بنظراتها قبل أن تقول في صوت مختلف
النبرات :

- هل في وسعك أن تكرهه ؟ هل تعرف الكراهية ؟
- في الكراهية تبديد للعمر .

- فهمت ، فهمت ، لست أرى في وجهك ملامح السخط وعدم الرضا ،
هذا حق ، انني أرى فيك الشخص المستعد لأن يسلك طريقاً معيناً ينتهي
به إلى مكان معين ، وهو يمضي فيه مبتسماً وكأنه لا يعبا بشيء ، وفي نهاية
الأمر إذا ما وجدت من يأخذ بيدك مخلصاً ، فإنك سوف تحصل على ما تريد
إذا ما كانت لك هذه الإرادة .

- ومن ذا الذي لا يريد ذلك ؟ انك نافذة البصيرة وترين كل شيء .

وحينئذ فتح الباب على مصراعيه ليعلمن الخدم إعداد العشاء ، وكان بديهاً
أن يكون العشاء ملكياً في قاعة طعام فاخرة بكل ما تعنيه الكلمة من رف
وأبهة وروعة .

وأحاطت بصاحبة الفخامة سيدتان ، وقد عقدتا شعرهما الأشيب فوق
رأسيهما ..

ورأى ناي انهما بمثابة وصيفات الشرف .

وكان بالقاعة حرس خاص من الرجال العمالقة المرتدين زياً خاصاً .
وما أن خطت شارلوت إلى القاعة ، حتى شعر الرجال السيوف بحيث

تلقي أطرافها أعلى رأس شارلوت ، التي خطرت تحتها في جلال وعظمة ،
متجهة صوب مقعدها المطعم بالذهب عند رأس المائدة المستطبة . ترى ماهي
حقيقة هذه المرأة ؟

ومن عساها أن تكون ؟

وماذا تفعل هنا ؟

ووفد آخرون ، للاشتراك في تناول العشاء ، وهم يرتدون ثياب
السهرة .

وبعد ان أدوا التحية الواجبة للجالسة فوق عرشها إلى رأس المائدة اتخذ
كل منهم مكاناً له ، دون القيام بإجراءات التعارف المرعية .
وأثناء تناول الطعام المتعدد الأصناف ، سمع صوت في الخارج ، صوت
محرك قوي لسيارة سباق .

وأعقب الصوت ، صوت جماعي صادر عن الحرس الخاص : هايل ا
هايل فرايز ا

واتى الحرس الخاص بحركة عسكرية منتظمة .

ونفض الجميع وقوفاً ، فيما عدا سيده الحصن ، فساد القاعة جو من الاثارة
وأسرع بقية الضيوف بالانسحاب .

وتقدم رجال الحرس من السيدة العظيمة يحيونها التحية العسكرية بالسيوف
ثم انسحبوا بدورهم بعد أن أومأت اليهم سيدتهم بالموافقة .
وبعد مفادرتهم الغرفة ، التجهت السيدة بنظرها إلى رينالا ، ومن بعدها
إلى ناي قائلة :

- ماذا ترون فيهم ؟ هؤلاء الشبان البواسل .

فقال ناي معقباً :

- إنهم في غاية الروعة يا سيدتي ، إنهم الروعة بحسب .

فانفرجت شفتاها عن ابتسامة الرضا ، ولم تزد الابتسامة وجهها سوى

بشاعة . .

يا لها من امرأة مرعبة !
إنه ما كان يصدق سماعاً أن مثل هذه الأمور تجري ، وإن مثل هذا الحصن
موجود بكل ما فيه .

وفتح الباب على مصراعيه ثانية ، وأقبل شباب الحرس ثانية ولم يكونوا
شاهري سيوفهم بل أقبلوا ينشدون لحناً جميلاً في أصوات متسقة النبرات ،
مدربة أحسن تدريب .

وكان اللحن من الألحان المسالوفة لديه ، وكان يصاحب الانشاد عزف
موسيقى صادر من حيث لا ترى الفرقة .

وكان اللحن من الحان فاغتر !
واصطف رجال الحرس تأهباً لاستقبال القادم الذي تجلس السيدة في
انتظاره .

وأخيراً أقبل الواقد المنتظر ، وتغير الانشاد إلى ذلك اللحن الذي يعينه
ناي عن ظهر قلب !
لحن سيجفريد الشاب

وعبر الباب ، وبين صفي الأتباع المخلصين ، تقدم شاب من أكثر الشباب
وسامة ، لم يسبق استافورد أن وقعت عيناه على ند له من قبل ، ذهبي الشعر
أزرق العينين ، مكتمل الجسم وكأنه فارس من فرسان الأساطير والخيال ،
بكل ما يحيطهم من بهاء وعنفوان وزهو .

وخطا بخطوات ثابتة بين صفي الحرس الخاص إلى أن وقف أمام السيدة
المتربعة على عرشها ، وركع على إحدى ركبتيه ، وأمسك بيدها بطبيع عليها
قبلة التبجيل !

ثم اعتدل واقفاً ، ماداً ذراعيه مردداً تلك التحية التي سمعها ناي من
الآخرين : « هايل ! »

ولم تكن المانيته واضحة كل الوضوح، وإن تبين فيها عبارة « هايل للام
العظيمة ! »

ثم تلفت الغادم الجميل فيما حوله ، وبدا وكأنه تعرف على رينسا ، ثم
وقعت عيناه على ستافورد ولاح فيها وميض الاهتمام والتقدير . ووردت في
ذهن ناي كلمة الحذر ا ودار بخلفه انه يجب أن يؤدي دوره خير اداء ، دوره
المرتب منه .

ولكن ماذا عساه أن يكون هذا الدرر على وجه التحديد؟ وفيه كان مجيئه
بصعوبة هذه الفتاة إلى هنا . . . لماذا ؟

وأخيراً نطق البطل :

— هكذا أرى ضيوفاً مرحباً بكما .

قال ذلك في لهجة من يرى في نفسه انه من طراز متفوق على غيره في
نبرات كلها صلف وكبرياء وغطرست .

وسمعت عن بعد دقات ناقوس كبير ، دقات متميزة لها رنينها الخاص ا
وانبرت شارلوت المعجوز قائلة :

— يجب أن نأري الى فراشنا الآن ، وسنقود للاجتماع معاً غداً صباحاً في
قمام الحادية عشرة ا

وتطلعت الى كل من رينسا وناي مستطردة :

— أرجو لكما يوماً هادئاً

وكان هذا بمثابة أمر ملكي بالانصراف .

ورأى ناي ذراع رينسا يرتفع بالتحية الفاشية ، ولكنها لم تكن موجهة الى
شارلوت ، بل كانت موجهة الى البطل الذهبي الشعر ، قائلة :

« هايل فرايز جوزيف » .

فحذا حذرهما قائلاً :

« هايل ا »

ومحدثت اليها شارلوت قائلة :

- هل تحبان أن تبدءا يومكما غد بالركوب في الغابة ا

فقال ناي :

- بودي لو تحقق لي هذا .

- وأنت يا صغيرتي ا

- أجل وأنا أيضا .

- حسنا سأصدر أمري بأعداد كل شيء ، طابت ليلتكما ، ويسرني أن

أرحب بكما هنا ، فرائز جوزيف - إلي بذراعك ، سننتقل إلى الغرفة الصينية

إذ لدينا الكثير مما يجب أن فتدارسه قبل أن ترحل في صباح الغد .

وقاد الخادم ريناتا وستافورد كل إلى غرفته .. وترده ناي قليلا قبل أن

يخطو إلى الغرفة ا

تري ، هل يقدر أن يتبادل معها كلمة او كلمتين ا ولكنه عدل عن هذا

بعد لحظة ، إن من الخير لهما أن يتوخيا الحذر ، طالما ضمتها جدران هذا

الحصن ، من يدري ؟ فقد تكون الغرفة مزودة بالميكروفونات .

بعد ان تناول ستافورد طعام إفطاره ، في صباح اليوم الثاني ، بغرفة الطعام الصغيرة بالطابق الأرضي وجد رينالا في انتظاره . وكانت الجياد معدة لها أمام الباب .

ورأى رينالا ، بعد ان امتظيا صهوة الجياد ، تتحدث إلى الصبي الذي كان يمسك بزمامها .

ونظرت رينالا إلى ستافورد قائلة :

- كان يسألني عما إذا كنت أحب ان يصحبنا فقلت له كلا ، إذ إنني أعرف المكان جيداً .

- هل ترددت على هذا الحصن قبلاً ؟

- ليس في السنوات الأخيرة ، كان ذلك في مطلع حياتي .

فرمقها بنظرة حادة ، ولكنها أشاحت عنه بوجهها ، فراح يتأمل وجهها الجانبي ممجّباً بأنفها الأثني ، وبرأسها الشامخ في اعتزاز بالنفس ، فوق جيدها الجميل . وكان يشعر بضيق نفسي لم يعرف له سبباً . .

وعادت به الذاكرة إلى استراحة المطار ، وإلى المرأة التي أقبلت لتجلس بجانبه وإلى قدح الجملة . لم يكن كل ما حدث في الحسبان لقد وجد نفسه بحكم غريزته يقبل المخاطرة وها هي تلك المخاطرة تتطور به فتنتقله إلى عالم لا

- يعرف عن حقيقته شيئاً .
- وتوغلا في الغابة فوجد نفسه أخيراً منفرداً برينانا حيث لا ميكروفونات ولا جدران لها آذان لقد آن الاوان لانوجيه ما يشاء من أسئلة :
- من هي ؟ ما هي حقيقة أمرها ؟
- إن الإجابة عن أسئلتك يسيرة . وهي من اليسر بحيث يصعب عليك تصديقها !
- حسناً ؟
- إنها البترول والنفحاس ومناجم الذهب في جنوب إفريقيا .. إنها مصانع السلاح في السويد ومواقع الأورانيوم في الشمال ، إنها الطاقة النووية . إنها كل هذه الأشياء معاً
- ومع ذلك ، فلم أسمع بأمرها من قبل ، ولست أعرف شيئاً عن عساها ان تكون .
- لأنها لا تريد ذلك .
- أويمكن كتمان مثل هذه الأمور ؟
- نعم المال يصنع كل شيء .
- ولكن من هي فعلاً ؟
- كان جدها أمريكياً ، وقد تزوج ألمانية .
- أعتقد انك سمعت عنها ببيع بيلندا . وكانت تمثل مصانع السلاح والسفن وقدرأ كبيراً من ثروة أوروبا الصناعية . كانت الوريثة الوحيدة لوالدها ، فإذا ما جمعت هذه الثروة مع ثروة الزوج الممثلة في السكك الحديدية حينذاك بأمريكا لوجدت المال والقوة والنفوذ والسلطان .
- ولقد ورثت صاحبنا هذا كله واستزادت منه وحالفها الحظ وحسن الطالع إن المال يأتي بالمال .
- أعرف هذا . لكن ماذا تريد وتبغني ؟

- السلطان والقوة !

- هل تقيم هنا ؟

- إنها تقوم بزيارات لأمريكا والسويد من آن لآخر لكننا تفضل الإقامة هنا ، في هذا الحصن الذي يعد بمثابة مركز نسيج العنكبوت حيث تمسك بخيوطه ، وتسيطر عليها وهي خيوط من المال والفنون والموسيقى والتصوير والأدب .

- كل هذا بين يدي امرأة عجوز متهللة بشعة وهل هي قائمة بذلك ؟

- ليس بعد ، وإن كانت بسبيل هذا .

- وماذا تريد علاوة على كل ذلك ؟

- إنها تحب الشباب ، إنها ترى فيهم نموذجاً للقوة . والعالم زاخر بالشباب

المتورد الثائر وهي تستهدف السيطرة عليهم .

- وكيف سيتسنى لها ذلك ؟

- لا أدري على وجه التحديد ، انه تجمع هائل له شعبه وفروعه التي تسانده

وتموله بوسيلة او باخرى . وهو لم يستكمل بعد تنظيمياً . انه بمثابة رسالة

لتحقيق الأمن والامال الموعودة ، كتلك التي تعلق بها جماعات كثيرة

كجماعة الحشاشين .

- وهل لها علاقة بتعاطي المخدرات ؟

- كوسيلة لإخضاع الناس لإرادتها ، أو للقضاء عليهم ، على الضعفاء منهم

وبالتحديد على من ترى انه لا نفع منهم . اما هي فإنها لا تتعاطى المخدرات ولا

تقربها فهي قوية ذات شخصية والمخدرات داء الضعفاء من الناس .

- وماذا عن القوة ؟ إن مجرد الدعاية لا يكفي لبلوغ الهدف .

- كلا ، بكل تأكيد . إن الدعاية هي المرحلة الأولى ، وبعدها التسليح .

تلك الكميات الهائلة من الأسلحة التي توجد بها الدول المحرومة وغيرها . دبابات

ومدافع وأسلحة ذرية ترسل الى افريقيا وأمريكا الجنوبية حيث يتدرب الشباب

ذكوراً واثناً استمداداً لما هو آت .

- لكأني في كابوس ثقيل ! كيف أحطت علماً بكل هذا ؟

- لأنني في الصورة كأداة من أدوات الجماعة .

- أنت ؟ كيف كان اتصالكما ؟ أنت وهي ؟

- وراء كل مشروع توافه تدعو للمعجب .

ثم أطلقت ضحكة وهي تتابع قائلة :

- إذا علمت بأنها كانت على علاقة حب يجدي ، لأدركت الكثير مما

يقع في هذه الحياة من مصادفات القدر . كان جدي يقيم في هذه البقعة من العالم .

وكان له حصن على بعد ميلين .

- وهل كانت له مواهب خاصة ؟

- أبدأ ، كان رجلاً رياضياً وسيماً يحظى باعجاب النساء ، ولذلك فهي

تنصب نفسها وصية علي وتمدني إحدى أتباعها ار عبيدها . فعلي ان أعمل لأجلها

وأصدق بأمرها

- هكذا ؟

وتطلع الى ريناتا واستمداد في ذهنه ما كان في المطار ، اذن فهو يعمل الآن

مع ريناتا ، وهي التي أتت به الى هذا الحصن . ترى بأمر من اصطحابته الى

هذا المكان ؟ هل هي شارلوت البدينة التي أمرتها بأن تصطحبه الى بيت

العنكبوت ؟

لقد كان معروفاً عنه في الاوساط الدبلوماسية انه غير رصين وقد تكون

هذه السمعة هي التي حدثت بهؤلاء القوم الى محاولة الانتفاع به في إحدى

النواحي ثم كانت ريناتا هي أداتهم لتنفيذ بغيتهم ، مستغلة لواحى ضعفه .

وسمعها تقول له :

- لنعد أدر اجنا .

- لكنني لم أستفسر منك عن حقيقة وضعك في العملية بأسرها ؟

- أنا من تؤمر فتطبيع .
- بمن ؟
- من المعارضة ، بمن يرتابون في كل ما هو جار وما سيجري من تغييرات في هذا العالم .
- رينا هل زدني ايضاحاً ؟
- لقد أوضحت . .
- من هو فرائز جوزيف ؟
- الشاب الذي رأيناها أمس ؟
- أهو اسمه ؟
- انه الاسم الذي يعرف به .
- والاسم الآخر ؟ أهو سيغفريد الشاب ؟
- أهو رأيك فيه ؟
- نعم . . مثال الشباب ، الشباب البطولي ، الشباب الأري المتفوق على سائر الاجناس . . ترى ما هو عمله على وجه التحديد ؟ ما هو عمله علاوة على تقبيل يد سيدته ؟
- الخطابة ، انه خطيب أوتي القدرة على التأثير في مستمعيه وامتلاك ناصيتهم ودفعهم حتى الى الموت .
- أحقاً ما تقولين ؟
- هذا ما يؤمن به .
- وأنت ؟ ما رأيك ؟
- قد يكون هذا حتماً ، ان للخطابة تأثيراً خطيراً . انها موهبة تتطلب سعراً خاصاً وجاذبية قوية . ان لنبرات صوته رنيناً خاصاً ، تبكي له النساء ويفقدن وعيهم ، ستري هذا بنفسك .
- وماذا علي ان أفعل ؟ . أو ما هو الدور المعد لي ؟

- أن تتبع دليلك ، ودليلك هو أنا . اني سأخذ بيدك الى الجحيم ،
وسأطعمك على ما لم يخطر لك ببال .
- هل يجب ان أوليك ثقتي ؟
- هذ متروك لك . ان لك الخيار بين ان توليني طهرتك ، او أن تضي
معي قدماً .
- بقي سؤال يحيرني . لقد أمرتك شارلوت بأن تجيشي بي لزيارتها لماذا ؟
ماذا تعرف عني ؟ وماذا تتوقع مني ؟
-- لا أدري على وجه التحديد ، قد تعهد اليك بما يتفق وتزعتك وميولك .

غادرا الحصن في منتصف النهار مودعين مضيفتهما ، واستقلا السيارة التي عبرت بهما الطرق الجبلية ، بعيداً عن الحصن بمسيرة عدة ساعات ، الى مقل بين الجبال حيث تعقد الاجتماعات ، وتقام احتفالات مختلف جماعات الشباب .

وريناها هي التي أتت به الى هنا . اليست هي دليله المرشد . ومن مقدمه فوق الصخور العارية راح يتابع ما يجري أمامه ويصفي لما يقال . وبدأ يدرك شيئاً فشيئاً كنه ما كانت تتحدث اليه به في الصباح المبكر . لقد اتت به ليشارك هذا الجمع الفقير الذي تزكي فيه لب الحماسة فيتدفق كالوج المتلاطم ليهاجم السفارات والجامعات ، فيعتدي على رجال الامن وغيرهم ، ويرى بعينه ويسمع بأذنيه مفهوم هذه المبارة ودلالاتها :

« سيفريد الشاب » .

وكان فرانز جوزيف ، اذا كان هذا هو اسمه ، يخطب في الجموع المختلفة . ولصدي صوته الذي كان طوح أمره وقعه في آذان المستمعين وتأثيره العميق في قلوبهم . وكانت استجابتهم لما يصدر عنه واضحة بينة ، وكانوا كأفراد الفرقة الموسيقية أمام القائد ، يتبعون عصاه أينما وجهتهم . ومع ذلك فلم ينظبع من كلماته في ذهن ستافورد شيء . ولم يكن لاي منها معناه

العميق . وبعد ان فرغ الخطيب من القاء خطابه ، كان الصراخ الصادر من الحناجر ، وصراخ الفتيات اللاتي أغمى على بعضهن . يا له من عالم ! عالم متأجج المشاعر . لا يبالي بشيء .

وبلسة من يد دلياته ، تبعها لينسحب بعيداً عن الحشد المائج واستقلا سيارتهما إلى إحدى المدن الجبلية ، حيث توقفا أمام فندق ، حجزت لها به غرفتان .

وغادرا الفندق بعد قليل سيراً على الأقدام إلى ان اتخذتا لها مجلساً فوق منحدر الجبل . وهناك جلسا في صمت ينظران إلى الوادي في تأمل عميق .

وبعد حوالي خمس دقائق انبرت رينانا قائلة :

-- ما رأيك فيما شاهدت ؟

- لم أقتنع بشيء منه .

- هذا ما كنت أتوقع سماعه منك .

- إنه مجرد عرض محكم الإخراج وتلك المرأة هي التي قوله وتدفع للمخرج أجره ، لكننا لم نر المخرج اليوم . إن من رأيناه هو النجم فقط .

- إنه ليس بأكثر من ممثل يمثل من الدرجة الأولى ، أحسن

توجيهه و ..

وضحكت رينانا ، ونهضت واقفة .. وقالت في سعادة وسخرية

واضحتين :

- كنت أعرف ذلك كنت أعرف رأيك مسبقاً .

إن لك خبرة واسعة بالحياة ، فقد اوتيت القدرة على حسن تقييم كل شيء وكل شخص . وليس ثمة من حاجة لذهابك إلى ستراتفورد لمشاهدة مسرحيات شكسبير لتعرف دورك ، إن الملوك وعظماء الرجال يجب ان يلحق ببلاطهم مهرج ، مهرج الملك الذي يصارح عليك بالحق ، ويحصل مما يقوله الناس ويفعلونه مادة للضحك .

- إذن فهذا هو دوري اليس كذلك ، مهرج البلاط ؟
- ألم تتبين هذا بنفسك ؟ إن هذا ما نريده ، وما نحن بحاجة اليه (الورق المقوى ، التديس بأحلى معانيه) إن للناس يؤخذون بالظواهر ، فيرون هذا الشيء راقعاً ، أو يرونه شراً ، أو يرونه بالغ الأهمية ، وفي جميع الأحوال لا يكون هذا هو الوصف المطبق عليه . وعلينا ان نهتدي إلى الوسيلة التي نبين بها للشباب المهدوع ان كل هذا باطل الأباطيل . وهذا ما نحن بسبيل القيام به .
- أهذا هو رأيك ، ان نقسوم في نهاية الأمر بقلب الأمور ، رأساً على عقب ؟
- قد تبدو فعلاً ان هذا مستبعد . ولكنك يجب ان تعرف انه بمجرد ان يلمس الشباب ان الأمر ليس بالحقيقي
- هل تزمعين القيام بمهمة الواعظ ؟
- كلا بداهة ، فما من أحد يصفي الينا إن علينا ان نقدم اليهم الدليل الواقعي ، الحقائق .
- الديننا من ذلك الكفاية ؟
- نعم ، ما كنت أحمله ممي في فرانكفورت ، وأعتني على السفر به في أمان إلى إنجلترا .
- لا أفهم شيئاً مما تقولين .
- ليس بعد ، سوف تفهم في الوقت المناسب ، إن كل ما علينا الآن ان نفعله هو ان نؤدي دورنا المعين ونحن الآن مستعدون له . إننا نجد الشباب ونحن من أتباع الشاب سيجفريد المؤمنين به .
- لك ان تحكمني بذلك على نفسك . أما عني فلا . هذه هي دخيلة نفسي التي لا اظن ان أحداً سيعرف عنها شيئاً .
- بكل تأكيد لا . وأرصيك بالانكشاف عن خبيثة نفسك .

- لا زلت غير مدرك لدوري على وجه التحديد .
- إنه مور الساخط التقليدي . انك لم تقدر حق قدرك في الماضي ، وقد وجدت في سيجريد الشاب ودعوه ما أعاد لك الأمل في مستقبل باسم ، لأنك تؤمن به وبأنه سيضعك في المكان المناسب الذي يحقق أمانيك بعد تغير الأحوال في هذا العالم .

- أتلحين لي بأنها حركة عالمية .

- بكل تأكيد ، إنها كذلك . إنها حركة عاصفة يراد بها ان تأتي على كل شيء .

وهذا ما يريدہ الناس في كل مكان . أجل ، إنها حركة عالمية ، يقوم بها الشباب بكل ما فيه من حيوية . إنهم لم يؤثروا المعرفة ، وليس في ماضيهم من التجارب ما يتسلحون بخبرته . ولكنهم مزودون بالنشاط يساندم المال ، ويشد أزرهم ..

إنهم ينظرون إلى مستقبل سدهاء العلم ولحمته اليقين ..

فقاطعها السير ستافورد بقوله :

- بودي لو عرفت شيئاً .

- ما هو ؟

- ما هي وجهتنا بعد ذلك ؟

- أمريكا الجنوبية . وربما هرجنا على البساكستان او الهند في طريقنا . كما يجب ان نذهب الى الولايات المتحدة . إن فيها من الأمور ما هو مشوق حقاً وبالذات في كاليفورنيا .

- الجامعات ؟ الجامعات ثانية ؟ تلك الأحداث المتأثرة ؟

وران عليها صمت عميق ، وكانت الشمس تنحدر نحو المغيب ، وقد انعكست أشعتها الجبراء على قمة الجبل فبدأ المنظر رائعاً اخاذاً . واخيراً قال ستافورد وقد حفل صوته بنبرات الحنين والشوق :

- أتعرفين الموسيقى التي أحب ان أسممها في هذه اللحظة بالذات ؟
- موسيقى فاجنر ؟ أم لعلك تحررت من أسارها ؟
- كلا انه فاجنر من تأمري في الحانه ، لم كان بودي ان أشاهد هانز ساكز
جالساً تحت شجرته العتيقة ، متجهاً بجديته الى العالم . « عالم مجنون ،
مجنون ، مجنون » .
- أجل هذا خير تعبير سمعته . وموسيقى هذا الموقف جد جميلة . لكننا
لسنا بالمجانين ، اننا جد عقلاء .
- في غابة الاتزان والعقل ، وهذا بيت الداء .

كانوا خمسة اشخاص جالسين في غرفة بباريس ، وقد شهدت هذه الغرفة اجتماعات تاريخية من قبل ، وكان هذا الاجتماع فريداً في بابه ، الا انه لا يقل اهمية عن سابقه !

وكان المسيو غروغيان رئيس الاجتماع ، شخصاً قلقاً يبذل أقصى ما في وسعه ليمرر الكرام على الأمور ، ويمالجهم بما يروح ساخرة كانت له خير عون في الماضي .

ولكنها أصبحت غير ذات منفعة في أيامنا هذه .

وكان السنيور فيتالي قد وصل من إيطاليا عن طريق الجو منذ ساعة ، ولم يكن ليهدأ له بال او يستقر له قرار وراح يردد :

- لقد تجاوزنا كل الحدود ، إن هذا اكثر مما يخطر على بال .

فيردف مسيو غروغيان قائلاً :

- هؤلاء الطلبة ، هذا ما نعاني منه جميعاً .

- لقد بلغ الأمر حد الخطورة ، انهم التربة الصالحة للآثارة ، والضححايا الطبيعية لكل من يريد استغلالهم .. انهم ما زالوا صبية صغاراً لم يشبوا عن الطوق ، صبية يزودونهم بالأسلحة والقنابل والمتفجرات ، وعددهم في مدينة

مثل ميلانو يفرق عدد رجال الشرطة .
- ترى ماذا نحن فاعلون ؟ وإلى أين نحن مسوقون ؟
وزفر مسيو غرورغيان قائلاً :
- إن الفوضى من الأمور الشائعة بين الشباب ، إنهم يمتنعونها مبدأ هذا
هو دأبهم شباب وعدم شعور بالمسؤولية ، إلى آخره .
ويردف مسيو بواسونيه قائلاً :
- الطلبة .. إنهم مصدر المتاعب :
وكان الرجل عضواً في الحكومة الفرنسية التي عانت من الطلبة الكثير ،
وكانت عقدة الطلبة هي ما يقض مضجع مسيو بواسونيه .
وانبرى مسيو غرورغيان لمسائل :
- وقضتنا ؟ ماذا دهى السلطة القضائية ؟ إنهم لا يوقعون بالشباب
العقوبات الرادعة ولا يأخذونهم بالشدة والصرامة اللازمين ، إننا يجب أن
نجهر بالقول ولا نخشى أحداً .
إني أشم رائحة المال ، وإن كنت لا أعرف له مصدراً ، ثمّة أمور تجري
في الخفاء ، يراد بها إفساد شؤون هذا البلد إن كل ما تسنى لي أن اعرفه هو أن
هذه الاموال واردة من الخارج .
فقال السنيور فيتالي :
- وهذا هو الحال في إيطاليا ، ترى من ذلك الذي يريد إفساد العالم ؟
أية جماعة هذه ؟
فعب غرورغيان بقوله :
هذه الظاهرة يجب أن تتوقف فوراً ، ويجب أن نعمل على ذلك جادين
غير مدخرين رسماً ، يجب القضاء على هذه الفوضى قبل أن يستشري أمرها
إنني أعرف إنهم يتلقون كميات كبيرة من مختلف الأسلحة .
وفي هذه اللحظة فتح الباب وأقبل منه سكرتير مسيو غرورغيان وعلى

وجهه دلائل الانفعال .

فقال له مسيو غروغيان ممتعضاً :

- ألم أقل انني لا أريد أن يقاطعنا أحد ؟

- بلى .. سيدي الرئيس ، ولكن الأمر غير عادي

واقرب من رئيسه هامساً :

- المارشال هنا وهو يلح في طلب الاذن بالدخول .

- المارشال ؟ تعني ..

ولكنه لم يتم عبارته ، إذ فتح الباب وأقبل منه شخص معروف للجميع
شخص لم تكن كلمته هي القانون فحسب ، بل كانت فوق القانون في فرنسا
لمدة أعوام مضت .

وكانت رؤيته مفاجأة مذهلة لمن همتم الغرفة .

وبادرم المارشال قائلاً :

- تحياتي لكم زملائي الأعزاء ، لقد أقبلت لأعارنكم ، إن بلادنا في خطر .
وعلينا أن نسرع بالعمل وقد أتيت لأضع خدماتي تحت أمركم ، والي لتحمل كل
المسؤوليات ، وإنقاذ فرنسا فوق كل اعتبار .

إن الموقف لم يمد يحتمل الكلام ، إنهم يحتمون - هؤلاء الطلبة الذين
يندس بينهم جماعات من ذوي السوابق والقتلة والمجرمين .

ولقد بعثت في طلب فرقتين ، وأخطرت القوات الجوية ، إن هذه الثورة
يجب أن نحمد فوراً إنها خطر مائل يهدد الرجال والنساء والأطفال والممتلكات
وسأحاول التحدث اليهم كوالد أولاً ولن أفرق بين الطلبة وبين من يندس
بينهم من مجرمين باديء ذي بدء .

إن الطلبة ومن يلوذ بهم ، هم شباب فرنسا ، وعدة مستقبلها هذا ما
سأحدثهم به ، علاوة على ما سأمنيتهم من وعود ، فسيكون هذا باسمكم وباسم
الحكومة

- مارشال ولكنك ان تعرض نفسك للتهابكة ، يجب أن ..
وخطا المارشال صوب الباب قالاً :
- إن هيئة الأركان في الخارج ، وفي انتظاري حرمي الخاص ، وانني
ذاهب إلى هؤلاء الشبان الثائرين ، إلى زهرة شباب البلاد لأبصرهم بواجبهم .
واختفى عن أنظارهم في عظمة ..
- رباء ! انه يعني ما يقول !
وأردف السنيور فيتالي بقوله :
- انه يخاطر بحياته ، انه شخص مقدم ، ولكن من يدري ؟ ماذا
سيكون موقف الشباب الثائر منه ؟ إنهم قد يفتالونه .

في قاعة اجتماعات مجلس الوزراء البريطاني برقم ١٠ دارننج ستريت ،
كان سيدريك لارنباي ، رئيس الوزراء جالساً إلى رأس المائدة يتأمل المجلس
المجتمع وهو ممتعض الوجه متجهمة .

وكان يجد في الانطلاق بمشاعره تسرية له ، الأمر الذي لا يتيسر له خارج
قاعة المجلس وقد كان لزاماً عليه ، بحكم منصبه الخطير ، أن يبسط بمظهر
المتفائل ، المشرح الصدر ، مهما يكن من أمر ما يعترضه من أزمات سياسية
وتأمل جوردون شيتويند ، الذي كان مقطب الجبين والسير جورج باكهام
البادي القلق الشارد الذهن .

كما تنقل بعينه بين المارشال الجوي كنرود ، والأميرال بلانت ، الذي
كان يطرق باصبعه على المائدة إلى أن يأتي دوره في الكلام ، والذي انبرى
قائلاً :

- ليس هذا بالأمر الهين .. إن علينا أن نعرف بذلك ، لقد خطفت اربع
طائرات لنا في الأسبوع الماضي ، واتجه الحاطفون بها إلى ميلانو ، وهناك
أخرجوا المسافرين منها ، ثم اقلعوا بها إلى أفريقيا ، حيث كان في انتظارهم
بعض الطيارين السود .

فانبرى لارنباي قائلاً :

- او المهر ؟ فالأمر سيان ، قد يكون من الأجدى الاتصال بالروس ، وفي الواقع اني أرى القيام بزيارة شخصية على مستوى القمة ..
فقاطعه الأدميرال بلانت بقوله :

- سيدي رئيس الوزراء من الخير لك أن تلزم مكانك ولا تعود إلى هذه المحاولة ، ان ما يجري في بلادنا لا يعنيهم لأنهم لا يتعرضون لمثله . إن ما يعنيهم هو ما يجري في الصين فلنبتق في بلادك لترعى شؤونها
وهنا انبرى غوردون شيتوبند قائلاً .. وهو يتطلع ناحية كولونيل
موترو :

- اليس من الأفضل أن نستمع إلى تقريرى عن حقيقة ما يجري ؟

- هل تريدون حقائق ؟ فليكن ، إنها حقائق لا يتطرق اليها ،
وأعتقد انكم لا تريدون تفصيلات عما يجري هنا بقدر ما تريدون ذلك عن
الوضع العالمى بصفة عامة
.. تماماً ..

- حسناً ففي فرنسا لا زال المارشال بالمستشفى بعد إصابته برصاصتين
في ذراعه والدوائر السياسية في غاية الانزعاج والقلق ، وقد استولت فرق
الشباب على نواح كثيرة من البلاد ، حيث تمارس سلطانها .

فقال غوردون شيتوبند في فزع :

- تعنى أن لديهم أسلحة ؟

- والكثير من الأسلحة . راست أدري شيئاً عن مصدرها ، هناك أكثر
من وجهة نظر حول هذا الموضوع ويقولون أن شحنات كبيرة من الأسلحة
قد شحنت من السويد إلى غرب إفريقيا .

- وماذا يعني لنا من كل هذا ؟ فليصلوا على كل ما يريدون من سلاح في

غرب إفريقيا وليقتلوا بعضهم بعضاً .

فقال مسير لازنباي :

- ثمة حقيقة تستلقت النظر . إن هذه الأسلحة قد أعيد تصديرها من غرب افريقيا في خمسة ايام من وصولها ، ومن هنا يتضح لنا انها لم تكن مرسلة أصلاً الى غرب افريقيا ، وانها قد تكون شحنت بالتالي إلى الشرق الأدنى .

- لست افهم . واني لاتساءل .

فقال السير جورج :

- يبدو ان ثمة منظمة مركزية في مكان ما خلف هذه الامدادات . وقد لوحظ ان مختلف الأسلحة تسلم إلى قادة فرق الشباب ، وزعماء حرب العصابات والقوميين الكبار .

وذهل سيدريك لازنباي لما سمع وقال :

- هل تعني اننا نواجه ما يمكن ان نسميه حرباً على نطاق عالمي ؟
ولأول مرة ، يتحدث الرجل الآسيوي الوجه الجالس في آخر المائدة وهو يبتسم ابتسامته المنقولة قائلاً :

- هذا ما نجدنا مرغين على تصديقه ، ان عيوننا تخبرنا .

- هلا اقلعت عن ملاحظتك .. سيتولى المختصون كل شيء ، في الأمم

المتحدة .

ولم تختلج في الوجه الهاديء خالجة ..

بل قال :

- إن هذا لن يتفق مع مبادئنا .

وواصل الكولونيل مونرو تلخيص تقريره في صوت مرتفع :

- ثمة قتال يدور في بعض جهات من العالم ، في آسيا وفي افريقيا ، وفي فواح أخرى والقوات المساعدة لجماعة الشباب هي المسؤولة عن كل هذه الاضطرابات . انك تعرف ان سام كورتمان أطلق عليه الرصاص وهو يرتقي درج السفارة الأمريكية .

- كان من المفروض أن يشترك معنا في هذا الاجتماع ليبدلي الينا بالديه من

آراء عن الموقف .

فقال الكولونيل مونرو :

- لا أعتقد ان آراءه كانت لتعطينا في كثير أو قليل .
- إن قدرته محدودة .

فتساءل لازنباي وقد احند صوته :

- ترى ما هي اليد التي تحرك كل هذا ؟

- قد تكون صينية أو ألمانية .. في الواقع اننا لا نعرف على وجه التحديد ان هذه الحركة ما هي إلا احياء للروح الفاشية بين الشباب . وجدير بالذكر انهم يطلقون على انفسهم أسماء مثل (الآريون العظام ، و شباب سيغفريد ، إلى آخر هذه الأسماء التي دلالتها .

واستاذن السكرتير في الدخول قائلاً :

- البروفسور اكتشيان يستأذن في الدخول .

وقال سيدريك لازنباي :

- يحسن ان يشترك معنا . فقد نسمع منه ، مما يوضح لنا بعض الأمور . وقد نعرف منه آخر ما توصلوا اليه من أبحاث السلاح .

فانبرى المارشال الجوي قائلاً :

- قد نستفيد من أي سلاح سري جديد .

وكان البروفسور اكتشيان رجلاً قبيحاً لا يبدو عليه انه قلة العلماء البريطانيين .

وكان خجولاً عصبي الحركات ..

واحتل المقعد الذي عين له ، وراح يتطلع فيما حوله ، قبل ان يبادره

السير جورج باكهام قائلاً :

- ان رؤساء جميع الخدمات موجودون هنا ، ونريد أن نسمع منك عما

يمكن أن نقوم به .

وخيم السكوت على القاعة .

وأردف سيدريك لازنباري يستعجبه :

- يقولون انك قمت ببعض الاكتشافات الهامة أخيراً .

فخرج البروفيسور اكشتاين عن صمته قائلاً :

- أجل ، هذا حدث فعلاً ، لقد توصلنا إلى بعض الأسلحة الكيميائية من كل

نوع خطير وهي تحت أمركم ، انها شديدة الفتك

- ليس هذا ما تريد على وجه التحديد .

- اني أقرر واقع فاعليتها المرعب ، أما ما عدا هذا فنترك لكم .

وتابع العالم الكبير في سرد تفصيلات نتائج استعمال الأسلحة البيولوجية

الفتاكة التي تفوق سائر ما عداها من أسلحة الدمار ، موضعاً مدى

خطورتها .

وأخيراً قال له مستر لازنباي .

- شكراً بروفيسور اكشتاين .

ورأى البروفيسور في هذا الشكر أذناً له بالانصراف فابتسم للجميع مفادراً

القاعة .

وما أن أوصد الباب وراءه ، حتى زفر رئيس الوزراء في حرقه ، وتساءل

غوردن شيتويند قائلاً :

- ترى هل ثمة مزيد من العلماء في الانتظار ؟

فقال لازنباري :

- بايكواي هنا ، ومعها صورة او رسم - أو خريطة يريد إطلاعنا

عليها .

- وماذا عساها أن تكون ؟

- لست أدري ، وكذلك أقبل هورشام .

فقال شيتويند :

- قد يكون لديه جديد !

وأقبل الكولونيل بايكون ، وكان يحمل بمعاونة هورشام خريطة مطوية
فضها أمام المجتمعين بحيث يتسنى للجميع القاء نظرة عليها .

وقال بايكوناي موضحاً :

- قد يعطيكم هذا الرسم غير الدقيق فكرة .

ثم أردف :

- هورشام ، يحسن ان تتولى محاضرتهم ، انك ملم بالفكرة العامة .

قال هورشام

- الي لا أعرف اكثر مما قيل لي ، هنا رسم هندسي لجماعة السيطرة على

العالم .

- بواسطة من ؟

- بواسطة هذه الجماعة وتشكيلاتها التي تسيطر على مصادر القوة في العالم .

- وإلى ماذا ترمز هذه الحروف الهجائية ؟

- قد ترمز إلى شخص أو الى جماعة ، وهي دوائر نفطي الكرة الأرضية

بمعنى ان ثمة شخصاً أو جماعة تتولى أمر التسليح ، وهو ما يرمز اليه بحرف
الألف ، وحرف الدال يرمز الى المخدرات وهم لا يبتغون بها ربحاً بقدر ما
يبتغون بها التأثير على الأتباع واتخاذها وسيلة للقضاء على ضحايا النفوس من
الشباب ، ممن يظنون عبداً لهم .

والنساء تعني التمويل ، وأهم شخصية ممولة للجماعة هي شارلوت كروب التي

تتحكم في ثروات طائلة .

وترمز السين إلى العلم ، وكل ما هو جديد في الحرب البيولوجية ، وتنتشر

فروع هذه الجماعة في الشرق الأدنى وفي آسيا وأوروبا وأمريكا الجنوبية تبعاً
لاختصاص كل من هذه المناطق في التوزيع وفي التدريب وفي النشاط ، ونحن

نطلق على هذا الرسم الهندسي إسم « الحلقة » ، وقد توصلنا إلى التعرف على زعماء هذه الحلقة بأسمائهم الحقيقية او الحركية ، وعلى مراكز قوتهم بقدر الامكان حسب القائمة التالية :

الحلقة

ش - شارلوت المعجوز - بافاريا - التمويل .
أ - أريك أولافسون - السويد - التسليح .
د - ديتروبيوس - ازوير - المخدرات .
س - دكتور سارولينسكي - كولورادو (امريكا) - كيميائي .
أما حرف الجيم ، فهو يرمز لامرأة يطلق عليها إسم حركي هو جوانيتا ، ويقال عنها إنها امرأة خطيرة ولا يعرف شيء عن اسمها الحقيقي ، وبدني أن تكون مهمتها نضالية .

جازفت العمه ماتيلدا بقولها :

- لقد خيل الي اني بحاجة إلى الاستشفاء ؟

وقال الدكتور دونالدسون ، وقد بدت في وجهه إمارات الحيرة :

- الاستشفاء ..

فاستطردت ليدي ماتيلدا موضحة :

- هذا ما كنا نطلقه على رحلاتنا الاستشفائية في الماضي في مارينباد ،

و كارلسباد ، وبادن بادن ، إلى آخر هذه الأسماء ، وقد قرأت بالأمس فقط

عن هذا المكان الجديد في الصحف . انه جديد عصري حديث ، ويقولون

ان به كل ما هو مستحدث مبتكر ا

- أعتقد اني اعرف هذا المكان ، انهم يملنون عنه كثيراً .

- ان من هم في مثل سني ، يحبون رؤية كل جديد ما رأيك ؟

وتطلع اليها الدكتور دونالدسون ، الذي لم يتجاوز الأربعين من سني

حياته ..

والذي كان في عجب مما ترمعه هذه السيدة التي قاربت التسعين ..

وأخيراً ..

تغلبت عليه اعتبارات مهنته فقال :

- قد تكون فكرة صائبة ، حقيقة إن السفر متمب وإن كان أقل تمباً
في أماننا هذه بفضل الطيران .

- قد يكون أسرع فقط ، هل يمكن أن يحصل الانسان على مقعد متحرك
في المطارات ؟

قال الطبيب

- بكل تأكيد .. إنها لفكرة رائعة ، إذا ما وعدتني بالألا تجهدني
نفسك ..

- أدرك ما تعني ، وأعدك بأن أدبر لنفسي كل وسائل الراحة حيثما
ذهبت .

- سوف تصطحبين مس ليديران معك ، بكل تأكيد .

- تعني أمي ؟ نعم .. انني لا أستطيع الابتعاد عنها .. وأخيراً هل
ترافق .

قال الطبيب

- أرجو لك رحلة طيبة .

فسألت ليدي مائيلدا :

- شكراً ، لرفقتك ولتشجيعك ، ان مجرد التفسير قد يفيدني ، فليس ثمة
ما يمكن أن استشفي منه . إنها الشيفوخة والسأم ..

- كل ما أرجوه هو ألا ترهقي نفسك .

واستدعت ليدي مائيلدا أمي ، التي عهدت اليها بأن تأتيها بخريطة من
المكتبة لتعرف بها على موقع من بافاريا من البلاد التي تحيط بها . وأمرعت
أمي تحمل اليها الخريطة وعويناتها المكبرة .

* * *

تلفتت ليدي ماتيلدا فيما حولها ، وراحت تتأمل الغرفة الأنيقة الفاخرة ،
راضية عن حسن اختيارها لأنها جمعت علاوة على ذلك كل أسباب الراحة
والدعة ، والنسائية القديمة والحديثة .

وبعد قليل ، سمعت طرفاً خفيفاً ، ثم فتح الباب ليطل منه وجه أمي
المخلصة تستأذن في الدخول .

وأقبلت أمي قائلة في صوت هاديء وديع :
- أرجو أن تكوني قد استمتعت بنوم هاديء .
- أجل .. هل حصلت على تلك القائمة ؟

ومدت أمي يدها الى سيدتها بما سألتها عنه .. وبعد أن ألقت ليدي ماتيلدا
نظرة على القائمة قالت :

- يا لها من قائمة مقبلة ، وما هو مذاق تلك المياه ؟
- ليس بالجيد .

- هذا ما كنت أوقعه ، عودي بعد نصف ساعة إذ ان لدي رسالة أريد
أن أبعث بها .

ونفضت السيدة الى المكتب الصغير ، وبعد أن أطرقت تستمرض ما هي
بسبيل تحريره .

أمسكت بالقلم تدون ما استقر عزمها عليه .
ونتمت قائلة :

- لعله ان ينتج أوره .

فقال أمي :

- معذرة ليدي ماتيلدا ، ماذا قلت ؟

- كنت أكتب لصدیقي القديمة التي تحدثت اليك عنها .

- صدیقتك التي مضى على آخر لقاء بينكما حوالي الستين عاماً ؟

فأومأت ليدي ماتيلدا برأسها إيجاباً .

واستطردت آمي معتذره :

- إنها لفترة طويلة ، ولم تعد ذاكرة الناس لتمي ما طال عليه الأمد ، أرجو ألا تكون قد نسيت ما كان بينكما .

- انها لن قلن بكل تأكيد .. ان ذكريات الصبا لا تنسى ، بسل انها تنطبع في الذاكرة ، أنا واثقة من أنها ستذكر كل شيء عني .. وعن لوزان .

- ابهشي بهذا الخطاب عن طريق البريد .

وعادت الى فراشها بعد أن التقطت نسخة من تقويم (جونا)

السجل الرسمي لأسماء وتواريخ الأسر الأرستقراطية المقيمة في أوروبا ، وراحت تراجع بعض فقراته التي تتضمن معلومات عن مختلف الأسر ، وما حل بها .

ولم تكن تتوقع أن تجد شيئاً بالذات عن الشخصية التي تجول خاطرها . ولكنها قرأت عن سيدة أقامت في أنحاء من العالم ، ثم قدمت لتقيم في حصن كان ملكاً لأسلافها النبلاء ، وحظيت باحترام الدوائر المحيطة بها ، لا لكرم عتدها ، وإنما لثروتها الطائلة .

* * *

بعد مسيرة خمسة عشر ميلاً ، توقفت بها السيارة أمام الحصن الذي اقتيدت فيه الى إحدى قاعات الاستقبال الفسيحة .

وكانت ليدي ماتيلدا كليكهيتون قد تأنقت في ارتداء ثيابها ، ضاربة عرض الحائط بملاحظات آمي .

وقد راعت في ثوبها أن يكون أرستقراطي الطابع ، وان لم يدل على

غنى ملوس .

ولم تفاجأ ماتيلدا بما وقعت عليه عينها ، لقد حدثها ستافورد بالكثير
عما رآه ، وعن هذه المرأة التي في ضخامة الحوت وقد جلست في مقعدها بتلك
الغرفة المزدانة بلوحات تساوي ثروة طائلة .

ونفضت المضيئة عن مقعدها الشبيه بالعرش ، تستقبل الضيفة قائلة :

- ماتيلدا ا

- شارلوت

- بعد كل هذه الأعوام ، يا للعجب ا

وتبادلتا عبارات الترحيب والسرور باللقاء ، وعادت ليدي ماتيلدا
بذاكرتها الى الماضي لتستعيد منه أن شارلوت كانت فتاة بغيضة ، وانها لم
تعرف قط ما اذا كانت شارلوت قد أحببتها أم لا .

* * *

واستعادتا معاً ذكريات الماضي البعيد ، وما كانتا تفعلانه مع زميلات
الدراسة ، وما تم من زيجات البعض منهن .

وحمل الخدم أقداح القهوة وصحاف الفطائر والكمك ، وانسبت ليدي
ماتيلدا تقول :

- لا أستطيع تناول شيء من هذه ، ان أوامر طبيبي قاطعة ، ولقد أشار
علي بالتزام قراعد الاستشفاء ، غير انه يمكن اعتبار يومنا هذا يوم عيد ، اليس
كذلك ؟ عيد تجديد الشباب ، وقد علمت من ابن أخي الأصغر الذي قسام
بزيارتك منذ فترة غير بعيدة ، ولقد نسيت اسم من جاءت به الى هنا ان اسمها
يبدأ بحرف « ز » .

- الكونتيس زر كوفسكي .

- نعم ، هذا هو اسمها ، انها امرأة ساحرة ، وقد جاءت به لزيارتك ، لقد سر كثيراً بهذه الزيارة وكان لكل ما شاهده أو عميق في نفسه ، وكان في مقدمة هذا كله ، ذاك الجمع من الشباب الذهبي الجميل انهم يعبدونك ، يا لها من حياة !

- انني اذكر ابن اخيك هذا ، انه من السلك الدبلوماسي .

قالت ليدي ماتيلدا :

- أجل ، وقد كان حظه عاروا ، انهم لا يتدرونه حق قدره ، إن الحياة قد تغيرت ، ولم تعد الأمور تجري كما كانت تجري من قبل ، انه ليس موضع لقتهم .

- تعنين انه ليس على وفاق معهم ، مع أولي الأمر ؟

.. إن لستافورد آراهه الخاصة ونظرياته في الحياة ، وهو غير راض عن أساليب من بيدهم مقاليد الأمور . وقد بدا لي انه تأثر إلى حد كبير بما حدثته به أو أطلعتة عليه انه جد معجب بمبادئك وبما تهدفين اليه من إصلاح ..

- يجب أن يكون هناك جنس سام ، ولقد كان أدولف هتلر على حق ، وليس من شك في أنه كان زعيماً موهوباً .

- إننا بحاجة إلى زعامة قوية بشرط ألا تورط في الأخطاء .

... إن آمالنا معقودة على الشباب . فالشباب هم القوة . والشباب هم القلوب الجريئة القوية . والشباب هم الآراء الجديدة الدافعة لعجلة الحياة ، والشباب إلى جانب هذا كله هم المستقبل . إننا نعد العدة لمثل هذا المستقبل ونعمل على تزويد الشباب بكل الامكانيات ، وفي عالم مثل هذا ستتاح الفرصة لمن هم على شاكلة ابن أخيك ..

إن شعارنا هو « النصر للشباب »

ولم يكن في مقدور ليدي مائيلدا سوى أن تصفي وتومي برأسها مجازاة
لصديقتها فيما تقول ..

وقالت لها آمي وهما في طريقهما إلى جناحها بالصحة :

- أرجو أن تكوني قد استمتعت بهذا اللقاء .

فمقبت ليدي مائيلدا اكليكهيتون بقولها :

- لو قدر لك أن تستمعي لما استمعت اليه من هراء في اصفاة تام وموافقة

ومجازاة لصديقتي ، لتملكك العجب ، ولما صدقت أذنك .

قال الكولونيل بايكواي وهو يزيل رماد سيجاره عن معطفه :
- إن الأنباء الواردة من فرنسا في غاية السوء ، وهذا ما قاله تشرشل
صراحة في الحرب الماضية ، ولقد كان لصراحة الرجل وشجاعته تأثيرها
العميق ، وعلى غرار هذه المكاشفة ، أعيد ترديد هذا القول الآن ، إن الأنباء
الواردة من فرنسا بالغة السوء .

وبعد أن سعل ، وأزال ما استجد من رماد سيجاره المتساقط فوق معطفه
تابع قائلاً :

- وأخبار إيطاليا سيئة جداً هي الأخرى ، ولا استبعد ان تكون
اخبار روسيا كذلك ، لو تيسر لنا أن نعرف عنها شيئاً ان الطلبة لا يقلون
نشاطاً فيها عن غيرها . وأخبار الأردن والقدس وسوريا ، والأرجنتين ،
عاطلة غير مطمئنة . وفي البلاد الأخيرة ، وفي غيرها من بلاد أمريكا الجنوبية
جماعة تطلق على نفسها « اتحاد الشباب الذهبي » ، أو شيئاً من هذا القبيل ،
ولهذه الجماعة جيش أيضاً . جيش مسلح تسليحاً تاماً .. وله قيادته ،
وتتوسل هذه الجماعة بالأغنيات الشبابية والأناشيد الموجهة لاجتذاب
الشباب ..

وبعد فترة توقف وجيزة واصل حديثه قائلاً :

ولقد سمعت بأن لهذه الجماعة خط نشاط معين في الدول المتحضرة ،
يبدأ من هنا ، والمظاهرات التي تنتشر في البلاد من حين لآخر ، خير دليل
على ذلك !

وتوقف ثانية ، ليتطلع إلى الرجل الجالس أمامه مستطرداً :

- انه لأمر مؤسف أن تبلغ الأخبار هذا الحد من سوء ، إن الفوضى
يستشري أمرها في العالم قاطبة . ونحن في طريقنا إلى ذروتها !

- الا يمكن اتخاذ خطوات ازاء هذه الظاهرة الخطيرة ؟

- ليس بهذه السهولة التي قد تبدو لك ان القنابل المسيلة للدموع تضع
حداً مؤقتاً لمثل هذه الاضطرابات . أما ما عدا ذلك من اسلحة فتسالا فلا
يمكن الاقدام على استعماله . ومهما يكن من أمر ، فإنه يلوح لي ، أن
لديك أخبار جديدة من المانية ، من الهر شبائس شخصياً .. اليس
كذلك ؟

- وكيف عرفت ؟ من المفروض أن ..

- إننا نحيط علماً بكل شيء هنا فهذا عملنا . ولقد أحضر الشبائس معه
طبيباً كما علمت !

- اجل دكتور رينارد قمة بين العلماء ، انه طبيب نفساني ، واسوف يعهد
اليه بفحص حالات معينة .

فعبث جورج باكهام قائلاً :

- يجب أن نضع في حسابنا مناحي الفكر الحديث اعني انني ارجو ..
الحق انني أجد صعوبة في التعبير ..

فقال له الكولونيل بايكواي :

- من المزعج حقاً أن يجد الانسان صعوبة في التعبير عما يدور بخلده !

وسمع رنين جرس التليفون

فتناول الكولونيل الساعة .. وأصغى ، ثم مد يده بالساعة الى السير

جورج . الذي تحدث قائلاً :

- نعم ؟ اجل ؟ اجل .. موافق ، كلا .. كلا .. وزارة الداخلية .. لا
تعنى بصفة خاصة ، حسناً اعتقد أنه من الأفضل أن ..

وتلقت السير جورج فيما حوله حذراً ..

فقال له الكولونيل بايكواي :

- إنك في أمان هنا .

فتابع السير جورج في صوت هامس قائلاً :

- فلتكن كلمة السر « الدانوب الأزرق » . نعم نعم سأصطحب بايكواي

معي . لا تنس أن اجتماعنا سرى وله صفة خاصة .

وانبرى بايكواي يقول :

- إذن فمن الأفضل ألا نستقل سيارتي لأنها معروفة للجميع .

- إن هنري مورشام قادم بسيارته الفولكس ا

- عظيم .. عظيم جداً !

كان هنريك شبايس بادي القلق ، ولم يحاول أن يخفي هذه الحقيقة عن الرجال الخمسة الذين اجتمعوا لمناقشة الموقف الخطير .
غير انه في الوقت نفسه كان يحمل في جعبته ما يعيد الثقة إلى القلوب تطبيقاً لأسلوبه في معالجة الحياة السياسية الشاقة في ألمانيا .

وكان رجلاً شديد المراس متزن التفكير ، يوحى بالثقة إلى كل من يتصل به .

ومع ذلك ، فقد كان يحرص على ألا يوحى لمن يتصل به بأنه رجل متوقد الذكاء ، وهذه الخلة بالذات تضاعف من الثقة فيه .

إن معظم رجال السياسة في العالم ، مسؤولون عما تتعرض له الدول من ازمات ، على الرغم مما يتحدث به الناس عن ذكائهم وصفاتهم الذهنية الممتازة ..

وبدأ المستشار الألماني حديثه بقوله

— إن زيارتي ليس لها طابع رسمي بصورة أو بأخرى ، الأمر الذي يعد متفقاً عليه بيننا .

— هذا أمر مفهوم .

— لقد تجمع لدي من المعلومات ما رأيت من الضروري أن أشارككم معي في

الاحاطة به . وهي معلومات تلقي ضوءاً على بعض الأحداث التي سببت لنا
الحيرة والأسى معاً . اسمحوالي أولاً بأن أقدم لكم الدكتور رينخارد .

وتم التعارف بين الحاضرين ، الذين رأوا في الدكتور رينخارد رجلاً تفتح
العين لمراه .

وتابع الهر شبائس قائلاً :

- إن الدكتور رينخارد يتولى معالجة الحالات العقلية في مؤسسة كبيرة على
مقربة من كارلزورج ، ويبلغ عدد مرضاه ما بين خمسمائة وستماية . اليس
كذلك ؟

فأجاب الدكتور رينخارد

- هو ذلك .

- ومن المفروض ان هذه الحالات مختلفة متباينة ؟

أجل ، لدي أكثر من نوع من هذه الأمراض ، وإن كنت اهتم اهتماماً
خاصاً بنوع معين منها .

ثم راح يواصل حديثه بالالمانية وبعد أن فرغ من إيضاحه ، عقب الهر
شبائس على حديثه قائلاً :

- يقول الدكتور رينخارد أن هذا المرض العقلي المعين يمكن تسميته «يجنون
العظمة» . إذ يعتقد المرء تحت تأثيره أنه شخص آخر شخص أكثر أهمية
من حقيقته . شخص يتوهم انه مضطهد .

فانبرى الدكتور رينخارد معترضاً :

- كلا ! ليس بهذا المعنى على وجه التحديد .. يمكن القول انه شخص
يعتقد أنه مغبون . وانه أعلى قدراً مما هو في الواقع .. وانه يجب أن
يكون .

- سادتي ، لعليكم فهمتم من تعقيبي ومن إيضاح الدكتور رينخارد حقيقة
هذا المرض . دكتور رينخارد . كم يبلغ عدد المرضى في عيادتك ؟

- لقد بلغ المئماناة في الفترة التي أتحدث عنها .
- مئماناة .. وكل منهم يرى في نفسه انه إله عظيم !
فانبرى لزنباي معقبا :
- انه لحديث مشير ..

- ومنهم من يعتقد أنه المسيح . او انه أدولف هتلر . ويبلغ عدد هؤلاء خمسة وعشرين بينهم خمسة عشر يعتقدون انهم نابليون . إلى آخر قائمة الشخصيات التاريخية مثل موسولينبي ، وبوليوس قيصر ، وغيرهما . وهي حالات لا تبلغ من الأهمية مثل هذه الحالة التي سأعرضها عليكم .

وواصل الهر شبائيس الترجمة ..

وقابض الدكتور رينخارد حديثه قال :

- وحدث أن جاء لزيارته ، في يوم ما .. أحد موظفي الحكومة ، وكان من الشخصيات التي يشار اليها بالبنان حينذاك - كان هذا أبان الحرب ، لا تنسوا ذلك وانطلق عليه مؤقتاً اسم مارتر ب . وسوف تدركون من عساه ان يكون !

وقد اصطحب الموظف معه رئيسه .. الذي هو في الواقع ادولف هتلر شخصياً ..

وبعد أن أطرق الطبيب قليلاً ..

اكمل حديثه :

- وكانت زيارته شرفاً كبيراً لنا ، وقد أثنى علي وعلى جهودي ، وقال لي أن ثمة بعض المتاعب في الجيش ، وانه يوجد من بين أفرادهم من يرى في نفسه انه نابليون .

وآخرون يعتقدون انهم من ماسارشاتاه فيصدرون الاوامر العسكرية ، ويسببون الكثير من المتاعب . وكان يسعدني أن أزوده بما يشاء من معلومات قد يفيد منها . غير أن مارتر ب الذي كان يرافقه قال ان هذا ليس ضرورياً

وقال هتلر انه من الافضل أيفاد اطباء اخصائيين في أعصاب المخ لفحص هذه الحالات .

وأبدى رغبته في القيام بجولة في المصحة وبدأ لي انه كان مهتماً بما يشاهد وانه كان يجد فيما رأى ما رفته عنه ، وكان يستفسر مني عن بعض الامور . وأخبره مارتر ب بأن بين المرضى من يرى في نفسه انه ادولف هتلر . ولما زدتة ايضاً عن دوافع هذه الحالات المرضية ، رأيتة راضياً عن تشخيصي الطبي ..

وأبدى الفوهرر رغبته في الاجتماع ببعضهم . وقال مارتر ب ان الفوهرر يريد الاجتماع بهم في غير حضوري . ففادرت الغرفة ، وبعد سبع دقائق من الاجتماع بمن دعوتهم من هؤلاء المرضى ، اسرع الطر هتلر ورفيقه بالانصراف .

وبعد فترة صمت خيم فيها السكون على القاعة انبرى الكولونيل بايكواي متسائلاً :

- وهل حدث بعد ذلك ما هو جدير بالذكر ؟

قال الطبيب :

- حدث ان سلوك احد المرضى بمظمة هتلر غير عادي وكان بين هذا الرجل وبين ادولف هتلر شبه غريب ، مما ضاعف من النزعة المرضية المتسلطة عليه .

ولاحظت انه أصبح اكثر تمسكاً بأنه الفوهرر لما ردماً ، وانه يجب أن يتوجه فوراً إلى برلين ليرأس مجلساً لاركان الحرب وكبار القادة كما لاحظت بعض التفسير في شخصية المريض عن ذي قبل .

وطببت خاطراً حينما اقبلت امرته بعد يومين للعودة بسه إلى منزله حيث قرروا أن يتولوا علاجه هناك .

وقد وافقت على طلبهم إذ كان في صحبتهم طبيب أخذ على عاتقه

الاشراف على علاجه .

- يبدو أن للهر شبائس وجهة نظر .
فأسرع هر شبائس موضعاً :

- ليست بوجهة نظر ، إنها حقيقة واقعة ، ولقد عمد الروس ، كما عمدنا إلى إخفاؤها . وثمة أكثر من دليل على قيامها . وهذه الحقيقة هي أن هتلر ، الفوهرر ، قد تخلف في المصحة بمحض إرادته في ذلك اليوم . وان الرجل الذي يشبه هتلر الحقيقي غادرها برفقة مارتن ب . وجثة هذا المريض هي التي عثر عليها فيما بعد في الخبأ .. ولست أجد داعياً للدخول فباعداد هذا من تفصيلات .

فقال لازنباي :

- يجب أن نعرف الحقيقة .

- أما الفوهرر الحقيقي فقد تم تهريبه إلى الأرجنتين حيث أقام لبضعة أعوام . وكان له ولد هناك من فتاة آرية جميلة من أسرة عريقة . والبعض يزعم انها المجلزية .. وهناك ساءت حالة هتلر العقلية .. إلى أن قضى نحبه مجنوناً ، معتقداً انه يقود جيوشه في الميدان . وكانت تلك هي الخطة الوحيدة التي يسرت له سبيل الهرب من المانيا . والتي تمت بموافقته .

- ومع ذلك فلم يتسرب شيء ينم عما حدث ؟

- كانت هنالك إشاعات . مجرد إشاعات كما هي العادة اشاعات كتلك

التي ترددت حول احدى كرميات قبصر روسيا من القتل .

فانبرى جورج باكهام قائلاً :

- ولكن هذا كان مجرد ادعاء باطل .

- في اعتقاد البعض فقط . ولكن آخرين كانوا يؤمنون بصحته ؛ فأبي

الجانبيين كان على حق ؟ انها الاشاعات ؟ ولقد سمعنا الكثير عن ان هتلر حياً يرزق .. وعلى الرغم مما قيل عن ان الجثة التي وجدت بالخبأ كانت لهتلر ؟

فإنه لم يقم دليل على صدق هذا القول .

- هل نفهم من هذا يا دكتور رينخارد أنك تؤيد هذه القصة ؟

- لقد حدثتكم بما حدث ، كان مارتن ب هو من قدم لزيارة مصحقي ، وكان مارتن ب من أقبل وفي صحبته الفوهرر ، وكان مارتن ب من عامله على انه الزعيم .

ومن كانت يتحدث اليه بما يجب من احترام وتوقير .

أما أنا ، فقد قدر لي أن أعاشر مئات من الفوهرر ، ونابليون ، ويوليوس قيصر وجدير بالذكر انه لم يسبق لي أن التقيت بهتلر أو حظيت بالاجتماع به شخصياً .

ثم كانت هذه الزيارة التي أبدى فيها هتلر رغبته في الاجتماع على انفراد ببعض من حلالهم أن يتقمصوا شخصيته ، وقد حققت له رغبته ، أو صدعت بما أمرني به .

وجدير بالذكر أيضاً أن الكثرة ممن كان يخيل اليهم أنهم أدولف هتلر ، كانوا يصرون على محاكاته في كل شيء ، بما في ذلك ثيابه .

كما انه كان هنالك هذا الرجل المريض الذي يشبهه إلى حد بعيد ، وما أظن أن بي حاجة لاعادة سرد ما حدث في ذلك اليوم .

وغني عن البيان أن البديل ما كان له سوى أن يرحب بهذه الفرصة التي واثته ليحتل ، كان هتلر الحقيقي ، بناء على هذه العقيدة المتأصلة في نفسه هذا هو ما حدث وهذا هو تصويري الحقيقي له .

فقال وزير الداخلية معقبا :

- إنها لقصة غريبة أقرب إلى الخيال منها إلى الحقيقة !

فأردف المهر شبايس قائلاً :

- إن الغرائب كثيراً تحدث في الحياة وفي التاريخ .

- ألم يساور الشك أحداً فيما حدث ؟

- لقد كان التخطيط محكماً ، مما لم يدع لريبة أو شك ، كما ان من قاموا على وضع الخطة قد حرصوا على كتمانها بحيث ضمنوها بالقضاء على بعض من اشتركوا في تنفيذها خشية تسرب شيء منها .
إن الموت هو أيسر سبيل لاطباق شقي من يحتفظ بسر خطير .
ولم يكن القائمون على مثل هذه الأمور في ألمانيا ليتفخروا عن شيء من هذا القبيل ، وكانت لهم خبرة بتدبير أمر المعقبات والمواقب .
وعلى الرغم من هذا الحرص ، فقد ثبت لدينا من بعض الوثائق والأدلة ان الخطة نفذت على الوجه الذي سبق إيضاحه ، وان هنالك قد وصل الى أمريكا الجنوبية . حيث عقد زواجه وأنجب مولوداً ، ثم رشحه في قدمه بالصليب المعقوف ..

واقدم التقيت بعملاء لنا من الموثوق فيهم . شاهدوا هذا الوشم بقدم الطفل المذكور .

وهناك نشأ هذا الطفل وأعد للمستقبل ومن هنا ثبتت فكرة الشباب الجديد . إنها فكرة أعم وأشمل . فكرة تضم شباب مختلف الدول تستهدف القضاء على كل قديم ، مستهينة بكل المقدسات ، بما في ذلك الحياة الانسانية في سبيل بلوغ غايتها .

ولهذا الشباب ، أو لتلك الجماعة ، زعيمهم الذي تجرئ في عروقه دمساء أبيه ، وإن لم يشبهه ، لأنه أقرب شياً بأمه .
انه صبي ذهبي الشعر مقبول الشكل وهو من يطلقون عليه اسم سيجفريد الشاب ، وقد حرصوا على تنشئته بحيث يمكن أن يصبح زعيماً لهم بقودهم إلى أرضهم الموعودة .

وكان تعقيب مستر لازنباي :

- هراء .. هراء ا يجب ان يقضى عليه قبل أن يستفعل أمره .
فأردف الهر شبائس قائلاً :

- إنهم لا يكادون أن يدركوا من أمرهم شيئاً ، إنهم لا يعرفون إلى أين هم مسوقون ، إنهم مندفعون وقد انحسار إيمانهم عن مصيرهم ، إنهم شباب يتفجرون حماساً ، لا يكاد يتبين موضع اقدامه .

لقد لغنوا مبادئ هتلر وأشربوا قسوته ، مستهينين بكل شيء في سبيل المضي قدماً تحت لواء سيجفريد الشاب . هذا ما عرفناه عنهم في بلادنا ، فماذا عنكم أنتم ؟

- لا يعلم منا بهذا سوى أربعة أو خمسة على الأرجح .

- إنهم يعلمون بهذه الظاهرة في روسيا ، وكذلك في أمريكا فهم يعرفون ان ثمة أتباعاً للبطل الشاب ، سيجفريد ، الذي يمثل الفايكنجز آلهة الشمال وأبطال الأساطير الاسكندنافية .

غير أننا يجب ألا ننفل أمر هؤلاء الذين يدفعون بهذه المجلة إلى الأمام ، من الرجال ذوي العقول الجبارة ، ومن كبار المسالين ، ورجال الصناعة ، وغيرهم من علماء وهؤلاء جميعاً يشتركون في السيطرة على تلك الجماعة ، وعلى مصادر القوة منها .

ويقال أن سطوتهم بلغت حداً جعل من هؤلاء الشباب عبيداً لهم .. ولقد كانت وسيلتهم في ذلك ، المخدرات التي تجعل من يتعاطاها عبداً خاضعاً لها !

إن المخدرات لا تدانها رذيلة في عواقبها السيئة على المرء لأنها تفتني به الى إهدار آدميته !

فمقرب وزير الداخلية بقوله :

- وهل سنقف من هذه الظاهرة الخطيرة مكتوفي الأيدي ؟ اليس أولى بنا أن نتخذ من الاجراءات الصارمة ما يوضع حداً لها ..

فقاطعه رئيس الوزراء قائلاً :

- لا زلت أعتقد ان الوسيلة لمعالجة هذه الظاهرة هي في تعاوننا مع

الروس لوضع أسس مقاومتها ودفع شرها ، خاصة وانهم يحيطون علماً
بهذه الحقائق .

فقال شبائس :

- أجل ، انهم يحيطون علماً بما فيه الكفاية . ولكن ، هل تراهم سيمترفون
بذلك ، ان سياستهم دائماً يكتنفها الغموض ، علاوة على متاعبهم مع الصين .
ثم انهم قد لا يتوقعون من هذه الحركة ما نتوقعه نحن من شر مستطير .
فقال لازنباي :

- أظن ان الخطة المثلى هي ان اطير بنفسى إلى روسيا .

وفي صوت هادىء تحدث اللورد التامونت قائلاً :

- سيدريك ، إننا بحاجة ماسة اليك هنا ، انك رئيس حكومتنا ، ولدينا
من الموثوق بهم كثيرون يمكن إيفادهم في مثل هذه المهمة .
وانبرى السير جورج باكهام متسائلاً :

- ومن تراه يصلح لمثل هذه المهام ؟ لعل هورشام خير من يحدثنا في هذا
الشأن ؟

فأجاب هنري هورشام في هدوء :

- لدينا نخبة ممتازة من العملاء تأتلك بما لم يكن بطراً لك على بال من
معلومات ، وإن ما ادلى به المر شبائس من معلومات لم يحصل عليه إلا
عن طريق عملاء له . إن تسعة اعشار ما يحمه الينا العملاء من تقارير صحيح .
فقال لازنباري في لهجة قاطمة :

- دعونا من هذا الحديث عن المعلومات وعن جديتها من عدمها ولننتقل
إلى الحديث عن كيفية مواجهة هذه الأزمة العالمية . ويجب ان تتخذ القرارات
في اجتماعات اللقمة لايجاد مخرج منها .

- سيدي ، يجب ان نضع نصب أعيننا إن هذه الحركة ليست كحركات
الطلبة العارية إن جيش الشباب يقف من ورائه جيش من العلماء والبيولوجيين

والكيبانيين ، علاوة على من يمدونه بالسلاح ، والمال والمخدرات التي تفقد افراده الارادة ، إن وراء الأكمة ما وراءها .

وتلقت سيدريك لازنباي يمينا ويساراً إلى ممثلي القوات البرية والبحرية والجوية وقال :

- لقد بلغ الموقف حد الهاوية . شيتويند ، مونرو ، بلانت ؟
ولفرط دهشة لازنباي ، كان الأميرال بلانت هو الوحيد الذي استجاب له قال :-

- لست أدري ما هو وضع الأميرالية من ذلك ، وخير ما أشير به هو استعراض الموقف بدقه تامه .. ومراجعة المعلومات -ببداً قبل اتخاذ قرار .

انفض الاجتماع على ذلك ، واستقر رأي المجتمعين على إعادة النظر بصفة
حاسمة فيما يتخذ من إجراءات .

واتجه كل من المستشار الألماني ورئيس الوزراء ، والسير جورج باكهام ،
وجوردون شيتويند ، والدكتور رينخارد إلى داوننج ستريت لتناول طعام
الفداء ..

أما الأدميرال بلانت ، والكولونيل مونرو ، والكولونيل بايكواي ،
وهنري مورشام فقد تخلفوا ليواصلوا مناقشاتهم بحرية أكثر في غياب
الأولين .

وانبرى الكولونيل بايكواي قائلاً :

- حمداً لله على ان اصطحبوا معهم جورج باكهام .. انه يشير أعصابي .
وأردف الكولونيل مونرو قائلاً :

- سيدي الأدميرال ، كان ينبغي أن تذهب معهم . فلست أرى أن
جوردون شيتويند أو جورج باكهام بالقادرين على الحيلولة دون سفر سيدريك
إلى روسيا ، أو إلى الصين أو إلى أثيروبيا . أو إلى الأرجنتين أو إلى أي مكان
آخر يحلوه .

وتطلع الأدميرال إلى الكولونيل بايكواي في فضول متسائلاً :

- ما هو الانطباع الذي خلفته قصة هتلر في نفسك ؟ أترك فوجئت بها ؟

-- لم تكن هذه القصة هي الأولى التي سمعنا بها في غمرة الاشاعات ، وهي قد تكون صحيحة وقد لا تكون ، في مثل هذه الأحوال تكثر مثل هذه الاشاعات وتنتشر .

إن الجثة التي عثر عليها الروس في الجبال لم يتعرف عليها أحد بصفة قاطعة ..

ونض الأميرال مستأذناً في الانصراف

وقال مونرو :

- أعتقد أن الدكتور رينخارد يعرف الحقيقة ، وإن كان قد حرص على عدم الجزم بذلك أمامنا .

واستدار الأميرال وهو ممسك بقبضة الباب قائلاً :

- وماذا عن الأعجوبة ذي الشعر الذهبي ؟ ابن هتلر ؟

فقال بايكواي معقياً :

- لا عليك منه .

فعماد الأميرال أدراجه ليستأنف مجلسه بينهم ، وليستمع إلى بايكواي الذي قال :

- اراهن على ان هتلر لم يكن له ولد في يوم ما .

- انك لا يمكن أن تجزم بذلك .

- بل اني جد واثق بما اقول ، ان هذا الفرانز جوزيف أو سييجفريد الشاب ، الزعيم المؤله ليس بأكثر من اكذوبة وخدعة . انه ابن تاجر ارجنتيني وفتاة جميلة شقراء . كانت مغنية اوبرا المانية من الدرجة الثالثة . وقد ورث الابن طلعتة الجميلة من والدته واقد أحسن اختياره للدور الذي يؤديه ، وكان هذا الشاب في مطلع صباه ممثلاً محترفاً ، وحرصوا على وشم قدمه بالصليب المعروف انتقاماً لقبريتهم .

- وهل لديك دليل عما تقول ؟

فابتسم بايكواي مجيباً :

- دليل قاطع حصل عليه واحد من خيرة عملائي ، إنهم وثيقة تتضمن اقراراً حاسماً ، وصوراً فوتوغرافية لبيانات موقفاً عليها من الأمم ، ومن الطبيب عن تاريخ عملية الوشم ، وصورة طبق الأصل من شهادة ميلاد كارل اجيلبروس ودليل موقع عليه على أنه هو المدعو فرائز جوزيف ، هذا ما استطاع عميلي أن يحصل عليه .

- وأين توجد هذه الوثائق الآن ؟

- في مكان أمين ، في انتظار استعمالها في اللحظة المناسبة .

- وهل تعرف الحكومة هذا ؟ أو هل يعرف رئيس الوزراء على الأقل ؟

- لقد دأبت في عملي على عدم إحاطة السياسيين علماً بكل ما لدي من

معلومات قبل أن أتأكد من أنهم سيتخذون الخطوات الصحيحة .

فقال مونرو

- إنك لشيطان عجوز يا بايكواي .

فقال بايكواي في حزن :

- هذا لا بد منه أحياناً .

كان لدى السير ستافورد ناي بعض الصيوف يقوم على اكرام وفسادتهم ،
ولم يكن قد سبق له معرفتهم .
وكان مرآهم في الجملة يسر الناظرين .

راح يتساءل ، ماذا يريد ضيوفه منه وكان يعرف أن أحدهم ابن لأحد
ملوك البترول .

والثاني من انصرفوا إلى العمل السياسي بعد تخرجه في الجامعة ، والثالث
شاب غريب الأطوار ، يبدو الشك في عينيه وحركاته .
وبادره الشاب الأشقر الذي يبدو انه زعيم الثلاثة قائلاً :

- إننا نشكر لك موافقتك على استقبالنا يا سير ستافورد .

وكان لنبهات صوته وقع جميل على السمع ، وكان اسمه كليفورد بنت ،
وقد قام بتقديم زميليه فقال :

- هذا هورر- ريك كتلي وهذا جيم بروستول ، اننا جميعاً قلقون من

أجل المستقبل ، ترى هل أحسنت التعبير ؟

كانوا جميعاً من الشباب وعلى جانب كبير من الوسامة والذكاء .
فقال ناي :

- أعتقد ان أحسن تعقيب على ذلك هو أن هذا شأننا جميعاً .

وعقب كليفور د بنت بقوله :

- إننا غير راضين عن مجريات الأمور . التمرد والفوضى وكل ما هو من هذا القبيل . إن هذه الأمور لا بأس بها كتنظريات فلسفية .. وبصراحة ، فإنني أرى انه يمكن للقول انه يبدو وكأننا نمضي في طور لنجتازه إلى آخر لا يفترق عنه كثيراً ..

إننا نريد للشباب القدرة على متابعة حياتهم الأكاديمية دون توقف ، إننا نريد مظاهرات سلمية تكون بعبء عن التهريب والعنف . مظاهرات راعية مدركة .

وفي الحق أن ما نريده بصراحة ، هو حزب سياسي جديد ، وجيم بروستر هذا كان له دور في ابتكار نظريات وخطط جديدة تتصل بشؤون نقابات العمال ، ولكنهم حاولوا أن يخذلوه ويسفموا آراءه ، وإن لم يفت هذا في عضده اليس كذلك يا جيم ؟

فأجاب جيم بروستر :

- إن معظمهم بالغ الحق ضيق الافق .

فقال بنت :

- إننا نريد سياسة جادة رشيدة للشباب ، وأسلوباً للحكم أكثر اقتصاداً .

إننا نريد تغييراً شاملاً في كل نظم الحكم ..

وقصارى القول ، إننا نريد الوسيلة التي نصل بها إلى مقاعد الحكم لنضع كل

هذه الآمال والآمال موضع التنفيذ .

إن معنا الكثيرين ممن انضموا لحركتنا ، ونحن نمثل الشباب بنفس القوة

التي يعمل بها دعاة العنف .

إننا نمثل الآراء المعتدلة والحركة السلمية ، والعمل الرصين ، وقد جئنا

نعرض عليك أهدافنا ، لعلها تحظى بعنايتك ، ولقد وقع اختيارنا عليك لأننا

سمعنا عنك ما شجعنا على ذلك .

فمقب السبر ستافورد بقوله :

- ألا ترى ان فيما تقوله وتعرضه علي ما يحايي الصواب ؟ إن ما تعرضه علي ضرب من عدم الولاء .

- اننا لا نعرض عليك الانضمام لبلد آخر .

- كلا . كلا .. ليس هذا ما أعنيه علي وجه التحديد ، ولكنني أعتقد أن لهذه الدعوة صلة ببعض الاهتمامات الاجنبية ، انني عائد للتو من الخارج ، وكانت رحلة مشوقة ، ولقد قضيت الاسبوع الثلاثة الاخيرة في امريكا الجنوبية ، وثمة ما أحب أن أحيطكم به علماً ، لقد شعرت منذ عودتي إلى إنجلترا بأن ثمة من يتعقبني .

- ثمة من يتعقبك ؟ لعله قد خيل اليك هذا ؟

- كلا ، أنا واثق من ذلك ومن هنا كنت أفضل ان يكون لقاءنا في مكان آخر غير منزلي ، إن الانسان يجب أن يكون أكثر حذراً في أيامنا هذه ، لقد تعلمت كثيراً في حياتي العملية ، وشهدت للكثير .. ولنعد إلى ما كنا فيه من حديث .. إن امريكا الجنوبية منطقة من العالم لها أهميتها القصوى ..

ونض ستافورد ناي .. بفتح أحد الادراج ، ويخرج منه جهاز تسجيل قائلاً :

- إنني حديث العهد بعملية التسجيل .

وبدأ يسمع المهاجرين لنا .

وتبين أن البعض منهم يصغي في انتباه ..

فابتسم قائلاً :

- أرى انكم تشاركونني الاستمتاع بموسيقى فاغنز ، لقد عزف هذا اللحن

في مهرجان الشباب هذا العام حيث استمتعت بموسيقاه .

- انه لحن من اوربا .

- انه نداء النفير لبطل شاب
وأردف ستافورد ناي وهو يرفع ذراعه ويمد يده إلى الامام بالتحية
الهنترية المشهورة :
- سيجفريد الجديد !
ونفض الضيوف الثلاثة وقوفاً .
وقال كليفورد بذت :
- انك لعمري صواب ، يجب علينا جميعاً أن نترخي بجانب الحذر .
ثم صافحه راستفورد قائلاً :
- يسرنا أن ننضم اليك ، إن ما سوف تحتاج اليه هذه البلاد مستقبلاً ،
هو وزير خارجية من الدرجة الأولى .
وغادروا الغرفة منصرفين ..
ووقف السير ستافورد ناي يودعهم بنظراته من فرجة الباب إلى أن
استقلوا المصعد .
ثم ابتسم وهو يوصد الباب ، وعاد يسترخي في أحد المقاعد - في الانتظار
.. بعد أن القى نظرة على ساعة الحائط .
وعادت به الذاكرة إلى مثل هذا اليوم ، منذ أسبوع مضى ، حينما افترق
هو وماري آن ، في مطار كنيدي بامريكا ومضيا كل في طريق .
وكأنا قد وقفنا هناك وقد ارتج عليهما القول ، وكان هو اول من قطع حبل
الصمت ، قال :
- هل تعتقدن انه سيصدر لنا أن نلتقي ثانية ؟
- وهل ثمة ما يحول دون ذلك ؟
- كثير فيما أعتقد .
فتطلعت اليه ..
ثم أشاحت عنه بوجهها قائلة :

- هذا الفراق يجب أن يحدث ، إنه جزء من عملنا .
- العمل ! هذا العمل الذي يحتمل كل تفكيرك .
- هذا ما يجب أن يكون .
- إنك محترفة . أما أنا ، فإنني من الهواة ، من أنت ؟ من عسالك أنت تكوني ؟ انني لا أعرف شيئاً عنك .

ونظر إليها ورأى الأسي في وجهها ، الأسي البالغ حد الألم :

- ارمين مع ذلك انه ينبغي لي أن أثق بك ؟
- كلا ، وهذا ما علمتني إياه الحياة ، فلا يوجد ذلك الشخص الذي يمكن أن نوليه ثقتنا ولتذكر هذا دائماً .

- إذن ، فهذا هو عالمك ؟ عالم من الشك والخوف والمخاطرة .
- إن كل ما أرجوه أن أظل على قيد الحياة .
- أدرك هذا .
- كما أريد لك أن تبقى على قيد الحياة .
- لقد أوليتك ثقتي في فرانكفورت ..
- ولقد خاطرت بذلك .
- كانت مخاطرة تساوي الكثير ، إنك تدركين هذا جيداً .

- تعني لأن

- أعني لأنها أوضحت لنا أن نقضي فترة معاً ، والآن .. ها هم يعلنون رقم طائرتي . أو قدر لزمالتنا التي بدأت في احد المطارات ان تنتهي هنا في مطار آخر ؟ إلى أين أنت ذاهبة ؟ وماذا أنت فاعلة ؟

- سأذهب إلى بلتيمور ، وواشنطن وتكساس .. لأقوم بمأهده إلى القيام به !

- وماذا عني ؟ إنني لم يعمد ابي بشيء سوى أن أعود أدراجي إلى لندن فماذا علي أن أفعل هناك ؟

- تنتظر .

- انتظر ماذا ؟

- تنتظر ما ستكشف عنه الأحداث .

- وبعد ؟

فانفجرت شفتاها عن ابتسامتها المرححة التي عهدتها وقالت :

- ثم تقوم بدورك الذي سيمس على عليك من أناس سوف يتصلون بك ،

ولسوف يحسن اختيارهم ، لأن هذا من الامة بمكان .

- علي أن اسرع الآن . وداعاً ماري آن ا

وما أن فرغ من استعراض موقف الوداع ، حتى أيقظه رنين الهاتف من

تأملاته .. فنهض إلى حيث رفع الساعة ليدوي في أذنه صوت لم يخطئه .

قائلا :

.. ستافورد فاي ؟

فأجاب بما هو مطلوب منه

- لا دخان بدون نار .

- لقد أشار علي طيبني بالاقلاع عن التدخين ، هل من أنباء ؟

وكان المتحدث هو الكولونيل بايكواي .

فأجابه فاي

- أجل ، ثلاثون قطعة من الفضة ، تبشر بالكثير ولقد وعدت ..

- بماذا ؟

- لقد أسمعتهم لنا . لحن نفير سيجفريد . وكنت أعمل بمشورة عممة

عجوز وقد انتج اللحن أثره .

- لا أكاد أصدق ما اسمع

- هل تعرف أغنية اسمها جوانيتا ؟ يجب ان ألم بهذا اللحن فربما غدوت

بمحاكاة اليه .

- وهل تعرف من عسى أن تكون جوانيتا ؟
- أعتقد هذا .
- عجباً .. لملك سمعت عنها في بلتيمور أخيراً !
- ماذا عن فتاتك اليونانية . دافن تيودورفالوس ؟ ترى أين هي الآن ؟
- جالسة في مطار بكان ما من أوروبا في انتظارك ، فيما أرجح .
- إن معظم المطارات الأوروبية مغلقة بسبب الأحداث الأخيرة .

- بإدراك الأميرال بلانت الفتاة التي فتحت الباب بقوله :
- لقد خيل إلي أنكم جميعاً في عالم الأموات .
- وكان كلامه موجهاً إلى الفتاة التي لا يذكر سوى اسمها الأول ، أمي والتي ينسى دائماً لقبها .
- واستطرد قائلاً :
- لقد حاولت الاتصال بكم تليفونياً في الأسبوع الماضي أكثر من مرة ، فقبل لي أنكم سافرتُم إلى الخارج .
- كنا في الخارج فعلاً وقد عدنا لتونا .
- ما كان ينبغي لماتيلدا أن تفعل ذلك . ليس في مثل سنها هذه ، إن ركوب الطائرات لا يتفق وارتفاع ضغط الدم أو ضعف القلب ، ثم إن ركوب الطائرات أصبح غير مأمون العاقبة في أيامنا هذه .
- لقد وافق طبيبها على سفرها .
- هذا هو شأن الأطباء دائماً .
- الواقع إن هذه الرحلة قد أفادتها كثيراً .
- إلى أين سافرت ؟
- إلى ألمانيا للاستشفاء ، لست أدري على وجه التحديد كانت ألمانيا

أو النمسا .

- وهل استمتعتم بإقامتكم ؟

- إلى حد ما ، لقد كانت المناظر خلابة ، غير ان ا

وهنا دوى صوت من الطابق الاعلى منادياً :

- آمي ، آمي ا ماذا تفعلين ؟ وفيم هذا الحديث الطويل في البهو ؟

فليصعد الاميرال بلانت فوراً ، انني في انتظاره .

وبعد ان قام الاميرال بلانت بتحيةة صديقتة القديمة .

قال لها :

- هل تراك تحذين حذو جاليفر في رحلاته ؟ الا تعرفين انك تقتلين نفسك

بهذه الطريقة ؟

- كلا ، كلا .. لم يعد في السفر مشقة في ايامنا هذه .

- كيف ؟ تلك المطارات ، وهذه السيارات الكبيرة ، وذلك الدرج

المتحرك او غير المتحرك ، ان الامر لا يقتصر على ركوب الطائرة فقط .

- كنت استعمل مقعداً متحركاً .

-- لقد كنت تزعين منذ عام او عامين ، انه ليس بك حاجة إلى هذا

المقعد ..

- دعنا من هذا يا فيليب ، وحدثني عن السبب الذي حدا بك أن تزورني

بعد ان انقطعت عن زيارتي لاكثر من عام ا

- معذرة لانشغالي عنك ، ثم ان صحي لم تكن على ما يرام .

فقلت ليدي ماتيلدا :

- ولكنني اراك بخير . فليكن ما الذي جاء بك ؟

وأمرت ليدي ماتيلدا الفتاة آمي بأن تقدم للزائر قدحاً من الشراب .

وبعد ان غادرت آمي الغرفة لتنفيذ الامر ..

قال بلانت :

- حينما تعود بالشراب ، عليك أن تتخلصي منها ، لأنني أريد أن أحدث اليك حديثاً خاصاً .

وعادت آمي بالشراب
ونفذت ليدي ماتيلدا ما سألتها إياه ضيفها . وبعد أن أغلقت الفتاة الباب بدأ بلانت حديثه ..
قال لها .

- لقد جئت لاستشارتك
قالت ليدي ماتيلدا :

- في ماذا ؟ في أمر يتصل بصحتك أو في أي من شؤونك الخاصة ؟
- كلا ، إنها استشارة في أمر خطير ، ولقد دار بخليتي أنك ربما استطعت أن تستعيني ذكري شيء من أجلي .

- يا عزيزي فيليب ، من أين لك هذه الثقة في ذاكرتي ؟ إن التقدم في السن له اثر العميق فيمن بلغ عمري ، اني لم أعد أذكرى سوى أحداث الصبا وأصدقاء الشباب .
.. أين كنت ؟

- كنت في زيارة صديقة قديمة لم أرها منذ أربعين أو خمسين عاماً .

قال بلانت :

- من عساها ان تكون ؟

- إنها من اكثر النساء بدانة وأبشمن خلقاً .

- ياله من ذوق شاذ !

قالت ماتيلدا :

- هيا حدثني بما تريد مني أن استعيد ذكراه .

- كنت انساءل عما إذا كنت تذكرين شيئاً عن صديق يدعى روبرت

شورهام .

- روبرت شورهام ؟ بكل تأكيد .

قال بلانت :

- العالم الكبير .

- أجل بكل تأكيد ، إنه من طراز لا يذاه المرء ، ترى ما الذي دعاك إلى ذكره .

- موضوع عام .

- عجباً أن أسمع منك ذلك . إن هذا هو عين مسا دار بخلدي في ذلك اليوم .

- ما الذي دار بخلدك ؟

- انهم في حاجة اليه ، او إلى من هو على شاكلته إن وجد .

- لا يوجد له نظير . ماتيلدا ، اصمني الي .. إنني أريد أن أعرف ما إذا كان روبرت قد تحدث اليك ، أيام كان يستطيع ذلك ، عن شيء يطلق عليه اسم المشروع ب

- المشروع ب يخيل الي انني سمعت بشيء من هذا القبيل ، المشروع كذا أو العملية كذا . غير انك يجب أن تعرف انني لم اكن افهم شيئاً من حديثه ، ولكنه كان يحس مسرة فيما يختلج به وجهي من امارات الدهشة .

المشروع ب ؟ أجل .. لقد كان هذا منذ فترة طويلة .. وكان جد منفعلي به ، واطالما كنت استفسر منه من حين لآخر عما تم بشأن هذا المشروع .

- كنت واثقاً من قوة ذاكرتك . والآن اريد ان اسمع المزيد مما حدثك به روبي عن المشروع ب .

- قد أجد في هذا مشقة ، لقد ذكر هذا المشروع في معرض حديثه عن عملية تتصل بمقول الناس .. هؤلاء الناس الذين ينظرون إلى ما حولهم بمنظار أسود ، والذين يستبد بهم القنوط إلى حد التفكير في الانتحار ، والذين

يعانون من عقد نفسية نتيجة لحالات من النورستانيا الشديدة ، إلى آخر هذه الظواهر التي تحدث عنها فرويد .

ثم كان يتحدث بعد ذلك بأسلوب علمي يقرنه بتنفيذ المشروع ب .
واعلمك تدرك انه ليس في وسعي ان اعيد مرده على سمعك ، لأنني لم اكن افهم منه شيئاً في متابعتي له !

الا تستطيعين ان تذكرني طرفاً من هذا الحديث العلمي ؟
... حينما كان يحدثني عن ظاهرة الابتئاس هذه قلت له ، لماذا لا ينصرف العلماء إلى اختراع ما يجعل مثل هؤلاء الناس يشعرون بالسعادة ، انه امر ان يستعصي على هؤلاء العلماء .

وكان قد حدثني عن تلك الجراحة في المنخ التي يحاولون بها استئصال أسباب الابتئاس والقلق ، وقلت له انه في وسع هؤلاء العلماء ، إذا ما أرادوا أن يتوصلوا إلى اختراع يشيع السعادة في قلوب الناس ويعمل على استرخاء أعصابهم ، ولم أكن أعني بدامة هذه الأقراص المنومة والمهدئة ، وكان يصفي الي باهتمام مردداً : يا لها من فكرة صائبة .

— وهل هذا هو مضمون مشروع ب .

قالت ماتيلد :

— لست أدري ، لأنه لم يحدثني بتفصيلاته أو بكنهه ، ولا بما ينطوي عليه صدره ، لقد كنت أتحدث عن سعادة الناس وما يكفل للجميع الشعور بالبهجة والانشراح . انك تعرف انني لا احب ان اسمع شاكياً او باكياً ، لأنني احب الخير للجميع ، لقد تحدثت عن المشروع ب كما تحدثت عن غيره . . .
واقدم اختلط الأمر في ذهني .

فسألها الأميرال بلانت :

— هل هذا هو كل ما تذكرينه عن المشروع ب او ما يتصل به ؟
هذا ما اعتقده ، واذكر اني بعد فترة زمنية اخرى استفسرت منه عما

تم بشأن مشروع ب او (بن) كما سمته يسميه فيما بعد فقال لي انه وضعه على الرف مؤقتاً .

ثم اقبل متسائلاً في يوم ما عما اذا كنت اذكر مشروع بن ؟ فأجبتته بانني اذكر انه نجاه جانباً ..

ثم علمت انه عاد لحياته بناء على ما استجد من أسباب مشجعة وخواطر ملحة ..

وراح يتحدث عن تجاربه الجديدة وعن احتمالات النجاح ، كما وردت على لسانه اسماء بعض الأدوية والعقاقير ، ثم لاحظت تردده بين احتمالات المخاطرة واحتمالات النجاح المرتقب . ولعلك اكثر دراية مني بمقلية هؤلاء العلماء وأسلوب تفكيرهم .

- وماذا عن رأي زملائه من العلماء ؟ وما هو الأساس في كلمة « بن » التي يقرنها بالمشروع .

- « بن » اختصار الكلمة التي تعني الخير ، فقد رأى. أن يطلق ان كثيرين منهم يعرفون شيئاً عن المشروع كانت تعمل معه في المشروع فتساءل نسوية قدهى ليزا ، وشاب يدعى ليدنتال ولكن هذا الاخير قضى نحيبه متسائراً بمرض السل .

اما سائر من كانوا يعاونونه في العمل فليسوا من العلماء ، وهم لا يعرفون شيئاً عما يفعلونه .

واعتقد انه لم يفض إلى احد بسره ، وانه احرق مذكراته قبل ان يطلع عن الماضي قدماً في تنفيذ او استكمال مشروعه .

ثم كان ان مرض واصيب بالشلل وهو الآن يقضي حياته في الاستماع إلى الموسيقى .

- اي ان حياته العملية قد انتهت ؟

- نعم وهو يؤثر العزلة عن الناس ويمتذر عن استقبال اصدقائه .

فسأل بلانت :

- هل لديك عنوانه ؟

- أجل ، انه يقيم في شمال اسكتلندا ، غير انك يجب ألا تنسى أنه اقرب إلى الموت منه إلى الحياة ، انه لم يعد يصلح لشيء .

فقال الاميرال بلانت معقباً :

- يجب الا يفقد الانسان الأمل والرجاء ، والايـمان .. ما دام على قيد الحياة !

كان البروفسور جون جوثليب جالساً في مقعده يتحدث النظر في السيدة
الجميلة الجالسة امامه .

اما هو فكان دميماً اقرب شياً بالقرود منه بالانسان . وقال بعد ان اتى
بحركة عصبية :

- ان هذا لا يحدث كل يوم ، ان تحمل سيدة شابة رسالة من رئيس
الولايات المتحدة ، ومع ذلك فإن الرؤساء لا يعرفون دائماً ما هم فاعلون . فم
هذا كله ؟ ارى انك مفوضة بجميع السلطات .

- لقد جئت لاستفسر منك عما تعرفه عن مشروع يسمى مشروع بينفو
وعما إذا كنت تستطيع أن تحدثني بشيء عنه ؟
- هل انت حقا الكونتيس رينا زركوفسكي ؟
- والمعروفة باسم ماري آن .

- هذا صحيح ، وتريد ان تلمي بمشروع بينفو . حسناً لقد كان هنالك
مشروع بهذا الاسم ولقد مات هذا المشروع وقبر ، وقد يكون هذا هو مبصر
الرجل الذي يرجع اليه الفضل فيه .

- تعني البروفسور شورهام ؟
- أجل . . روبرت شورهام . . قمة في النبوغ والذكاء . غير انه

لم يقدر لهذا العالم الفذ طول بقاء .. إن فقدته خسارة كبرى للعلم .
فقال ريناتا :

- ولكنه ما زال على قيد الحياة

- هل انت واثقة مما تقولين ؟ إننا لم نسمع عنه شيئاً ، منذ فترة
طويلة ..

- انه مريض . وهو يقيم في شمال اسكتلندا ، انه مصاب بالفالج ولا
يستطيع التحدث بسهولة . ولا الانتقال من مكانه إلا بصعوبة ؛ وهو يقضي
وقته في الإستماع إلى الموسيقى .

- فهمت ويسرني ان سمعت إنه على قيد الحياة . غير اني ارى مع ذلك انه
في حكم المدم .

- إذن . فقد كان هنالك مشروع بهذا الاسم ؟

- اجل وكان مهتماً به الى اقصى حد .

- وهل تحدث اليك بشأنه ؟

- نعم .. لقد تحدث إلى البعض منا في باكورة ايامه .. هل أنت
من العلماء ؟

- كلا اني !

- انت مجرد عميلة . وارجو ان تكوني موفدة من الفريق المصيب الملزم
بميادة الحق .. ومع ذلك فلست اعتقد انك ستحصلين على شيء من
مشروع بينفرو .

فسألت ريناتا :

- ولم لا ؟ ألم تقل انه كان يعمل لتحقيقه ؟ ان هذا المشروع لو تم لصاحبه
تنفيذه لكان من الممكن ان يصبح اختراعاً عظيماً .

- اجل . فلو كان قد تحقق له ذلك ؛ لرأينا فيه اكتشافاً له قدره الكبير
في عصرنا هذا .. ولست ادري السبب في توقف خطوات العمل به ؛ وما

صادفه من عثرات ؟ وما هو السر في انصراف شورهام عنه والاقلاع عن
المجاز ما كان بسبيل المجازه وادهى من ذلك انه لم يبق على شيء من مدونات
كما قال لي . .

لقد احرق جميع الاوراق التي بها التركيبات ؛ وبعد ان قام بذلك اصيب
بالفالج في مدى ثلاثة اسابيع ؛ هذا هو الواقع ؛ ولذلك تجديني عاجزاً عن
سؤالك . انني لا اذكر عن المشروع سوى اسمه ؛ وسوى ان كلمة ب ثم بن ثم
بينفو ؛ تعني كلمة الخبر . هذا هو كل ما اذكره عن هذا المشروع الذي كنت
اود ان يتم .

كان اللورد التامونت يقوم بالاملاء ، ربدا صوته الذي كان في يوم من الأيام مدوياً وذا سطوة وجبروت بدارقيقاً خفيضاً ، هادئاً ، وكأنه طيف من الماضي يختلج عاطفة وتأثراً .

وكان جس كليك يدون الكلمات كما تصدر عن صاحبها ولا يتوقف عن الكتابة إلا في تلك الفترات من التردد والترقب .

قال اللورد التامونت :

- إن المثالية يمكن أن تنهض حينما تثيرها الخصومة الطبيعية للظلم . وهذا هو الانتكاس الطبيعي للمادية المركزية ومثالية الشباب الطبيعية تغذيها على مر الزمن ، تلك الرغبة في القضاء على هذين الوجهين للحياة العصرية ، الظلم والمادية الثقيلة .

والرغبة العارمة في القضاء على كل ما هو شر تؤدي إلى استمرار العنف وإيلام الغير وجميع هذه الخصال يمكن ان تقوى وتستشري نتيجة لما يقوم به الغير ممن أوتوا موهبة الزعامة المتسلطة .

وجدير بالذكر أن الجيد من هذه الخصال يمكن ان ينمي ويوجه إلى حب الخير للناس قاطبة . أما الرديء منها وبالذات حب العنف لمجرد العنف فلا يمكن أن يستقيم عوده بل يبقى على حاله الذي جبل عليه .

وفي هذه اللحظة سمع أزين جهاز الاتصال الداخلي وعلى أثر إيماة بالموافقة من اللورد رفع جس السماعة ثم قال :

- مستر روبنسون هنا .

- دعه يدخل يمكن ان نستكمل هذا فيما بعد .

ونفض جس فاركاً كراسته وقلبه وأقبل مستر روبنسون ، الذي أعد له جس مقعداً مريحاً وابتسم مستر روبنسون شاكراً ، وهو يتخذ له مجلساً إلى جانب اللورد التامونت الذي بادره قائلاً .

- حسناً . هل جئت بجديد ؟ رسوم هندسية ؟ دوائر ؟

- بل أكثر من ذلك . جئت بتخطيط لمجرى النهر .

- نهر ؟ أي نهر ؟

- نهر من المال . إن المال أشبه ما يكون بالنهر الذي ينمى من مكان ما وينتهي حتماً إلى مكان ما . . إنها أمور بالغة التشويق . هذا إذا كانت تعنيك حقاً ، وهي تحدثنا بالكثير .

وبدا أن جس لا يفهم شيئاً لكن التامونت قال :

- فهمت ، فلتواصل حديثك .

- إنه يتدفق من اسكندناوه ، ومن بافاريا . ومن الولايات المتحدة ، ومن

جنوب شرقي آسيا . وقده روافد أقل شأناً في طريق مجراد .

- وإلى أين المصب ؟

- أساساً إلى أمريكا الجنوبية لسد حاجات القيادة الجديدة للشباب المجاهد

التمثل في أربع من الخمس دوائر التي أطلعت عليها: التسليح والمخدرات ووسائل الحرب العلمية والكيميائية والتمويل ؟

- هل أنت واثق من ذلك ؟

- نعم . ونحن نعتقد اننا قد توصلنا إلى الكشف عن من يسيطر على تلك

الهيئات .

وانبرى جس متسائلا :

— وماذا عن الدائرة الخامسة ج ، جوانيتا ؟

— لم نستوثق من أمرها بعد .

وعقب اللورد التامونت بقوله :

— إن لجس وجهة نظر في هذا الموضوع . وأتمنى أن يكون مخطئا فيما يرى .

ان الحرف ج يسترعي الانتباه . أراه يرمز إلى العدالة ، أم إلى القصاص ؟

فقال جس :

— إنه يرمز إلى القاتل المكروم لهذه العملية والنساء في هذا المجال أشد

فنتكا من الرجال .

وأقره التامونت على وجهة نظره بقوله

— هناك سوابق تاريخية نعرفها كلنا .

فبادره مستر روبنسون بسؤاله :

— أعتقد أنك تعرف من عساها أن تكون جوانيتا ؟

فرد كليك :

— ربما كنت مخطئا ، يا سيدي غير أن هناك من الشواهد ما حدا بي إلى

الاعتقاد بأنني أعرفها .

قال اللورد :

— من الخير أن تفصح عن رأيك وما يحول في خاطرك يا جس .

— إنها الكونتس رينانا زروكوفسكي .

— وما هو دليلك على هذا ؟

— الأماكن التي كانت تتردد عليها ، والناس الذين كانت تتصل بهم وقد

كانت تنقلاتها ولقاءاتها أبعد ما تكون عن مجرد صدفة . وقد كانت في بافاريا

وهناك قامت بزيارة لشارلوت الضخمة وأكثر من ذلك فإنها عمدت إلى

اصطحاب ستافورد فاي معها وأرى أن في ذلك خير دليل .

فتساءل التامونت :

- أترى في ذلك دليلاً على اشتراكها معاً؟

- لا أود أن أزعم شيئاً من هذا القبيل . إن معلوماتي عنه قاصرة ، وإن

كنت

ثم توقف عما كان بسبيل قوله ، وأردف اللورد التامونت قائلاً :

- نعم ، ثمة شكوك تحوم حوله . لقد كانت موقفه مريباً منذ البداية .

وكان هذا هو رأي هنري هورشام فيه . وكذلك كولوونيل بايكواي ، فيما

أظن . وكان ستافورد موضوعاً تحت الملاحظة وربما كان يدرك هذا لأنه

ليس بالرجل الفاضل .

وهنا قال مستر روبنسون

- ستافورد ناي تفوده رينانا أو قل جوانيتا .

قال عليك موضعاً :

- يجب ألا ننسى ما حدث في مطار فرانكفورت . ثم هذه الزيارة لشارلوت

وسفره أخيراً معها إلى أمريكا الجنوبية . أما هي ، فماذا نعلم عن تحركاتها -

وأيها هي الآن .

فعمق اللورد التامونت قائلاً :

يخيل إلي أن روبنسون يعرف الإجابة عن هذا السؤال . اليس كذلك

يا مستر روبنسون ؟

- إنها في الولايات المتحدة ، وسمعت أنها كانت في شيكاغو ثم في كاليفورنيا

ثم سافرت إلى حيث قامت بزيارة لأحد العلماء البارزين ، وهذا كان آخر ما

سمعت عنها .

- وماذا تبغي من ذلك ؟

- بديهي أنها كانت تسمى للحصول على بعض المعلومات .

أية معلومات ؟

-- كان بودي أعرف هذا . قد تكون هذه المعلومات هي ما نسعى نحن
للحصول عليه ، ومن يدري أتفعل ذلك لحسابنا أم لحساب الطرف الآخر ؟

ثم اتجه بحديثه إلى اللورد قائلاً :

-- انك مسافر الليلة الى اسكتلندا فيما أعلم ؟

-- نعم .

قال كليك :

-- لا أوافق على هذه الرحلة يا سيدي ، ان صحتك ليست على ما يرام .
والرحلة شاقة بالنسبة اليك ، سواء أكانت جواً او براً . ألا يمكن أن تدع هذه
المهمة لمونرو وهورشام ؟

-- من العبث ان يركز من هم في مثل سني اهتمامهم في العناية بصحتهم .
فما دمت أشعر بأنني قادر على القيام بشيء جاد ، فمن الخير لي أن الفظ أنفاسي
وأنا أعمل ، كما يقولون .

والتفت الى روبنسون قائلاً وهو يبتسم :

-- يحذر بك أن تصحبنا .

كان قائد الطائرة لا يفتأ يتساءل عما يعنيه هذا كله . ان فيا يشاهده ما يوحى بأن وراء الالكمة ما وراءها . ان قيادة طائرة إلى مكان غير مألوف . بمسافرين غير عاديين امر يدعو للتساؤل والحيرة .

انه يعرف بعض المسافرين بهذه الطائرة . ولكنه لا يعرف الباقين . لقد تعرف على لورد التامونت . هذا الرجل العليل الذي ظل على قيد الحياة بفضل قوة إرادته . وهذا الرجل الصقري الوجه الذي يرافقه لا بد انه حارسه الخاص كما تعرف قائد الطائرة على هنري هورشام . رجل الامن والكولونيل مونرو الذي كان يبدو قلقاً .

اما هذا الرجل البدين الأصفر للوجه . فإنه على الأرجح اجنبي وقد يكون اسبويًا ا ماذا وراء فاعلا في شمال اسكتلندا .

وكانت هناك سيارة في انتظارهم عند محطة الوصول . واستفسر الكولونيل مونرو عن المسافة بين المطار وبين وجهتهم فعلم بأنها سبعة عشر ميلا في طريق وعر . وسأل مونرو قائد الطائرة قبل ان يستقلوا السيارة ان يعيد على سممه ما لديه من اوامر .

وبعد ان اطمأن إلى انه لم يففل منها شيئاً انطلق هو ورفاقه بالسيارة تاركاً قائد الطائرة في عجب من امر هؤلاء الرجال الذين يتجشمون مشقة السفر

إلى هذه القلعة القديمة التي يقيم بها رجل مريض عاجز .
ومضت السيارة بهم قدماً ، إلى أن توقفت بهم أمام باب الحصن القديم ..
وفتح الباب الضخم قبل ان يطرقة احد ، ووجدوا أمامهم امرأة اسكتلندية
تجاوزت الستين من عمرها بوجهها الجاد ونظراتها الصارمة .

وقام كل من هورشام وجنس كليك بمعارضة لورد التامونت على ارتقاء
الدرج وتنحى المرأة الاسكتلندية جانباً لتفسح الطريق للقادم الكبير
قائلة :

- مساء الخير سيدي اللورد ، إن السيد في انتظارك ، لأنه يعلم بقدمك
ولقد أعددتا الغرف اللازمة لكم ، وأرقدنا المدافئ بها .

وفي البهو كانت تقف سيدة فارعة الطول ، قد قاربت الستين من عمرها
وكانت محتفظة بآثار جمالها ، معنية بأناقتها ، وقدمتها لهم المرأة الاسكتلندية
قائلة :

- هذه هي مس نيومان التي ستنولى العناية بكم ، وتقوم على رعايتكم .
فقلت مس نيومان :
- شكراً جانيت عليك أن تتولي امر نيران المدافئ في الغرف .
- سمعاً وطاعة .

ومد لورد التامونت يده يصافحها قائلاً :

- طاب مساؤك يا مس نيومان .
- طاب مساؤك يا لورد التامونت ، ارجو الا تكون الرحلة قد اتعبتك .
- كان الطيران مريحاً .. هذا هو الكولونيل مونرو ، يا مس نيومان
وهذا مستر روبنسون ، والسير جنس كليك والمستر هورشام ، من مصلحة
الأمن العام .

- انني اذكر لغائي بمستر هورشام منذ بضعة أعوام .
فمقّب هنري هورشام بقوله :

- انني لم انس هذا اللقاء ، لقد تم في مؤسسة ليفسون لقد كنت سكرتيرة
البروفسور شورهام حينذاك .

- كنت مساعدته في المعمل ، ثم غدوت سكرتيرته ، وما زلت كذلك ،
كما انه بحاجة إلى ممرضة تقوم على رعايته صحياً ، بالتناوب مع غيرها ، ومس
البيس هي الموجودة حالياً ، وقد استلمت العمل من مس بيود من يومين ، وقد
رأيت أن تكون على مقربة منه ، حين اجتماعكم به .

فسألها مستر مونرو :

- هل سادت صحته كثيراً

- يمكن أن نوجز في إيضاح حقيقة حالته الصحية ، بأنه ليس أكثر من
حطام .

فسألها :

- وماذا عن قواه العقلية ؟ هل يستطيع ان يعي ما يقال له ؟
- أجل ، تمام الوعي ، غير انه لا يستطيع الكلام بطلاقة ، ان عقله في
رأبي لم يتأثر بمرضه

وتقدمتهم ليزا نيومان ترقى الدرج إلى دهلين حيث فتحت باب غرفة
متوسطة الحجم ، وكان في جانب الغرفة جهاز تسجيل .
وكان الرجل المديد القامة ، جالساً في مقعد يجوار المدفأة وآثار الشلل
واضحة على وجهه وفي حركة يده اليسرى وليس من شك في انه كان حطام
رجل . حطام رجل كان في يوم ما ، طويل القامة .. قوي البنية .

وكانت عيناه تشمان ذكاء ووعياً وكأنه يحاول أن يقول شيئاً ، وانجهمت
ليزا نيومان لتقف إلى جانبه ، وهي تتابع حركات شفثيه ، لتقوم بتفسير ما
يقوله عند الاقتضاء ثم قالت :

- ان البروفسور شورهام يرحب بكم ، وهو سعيد بزيارتكم ويريد مني ان
اقول لكم انه قادر على سماع ما تقولون بجلاء . اما ما يريد ان يقوله فسوف

أعاونكم على فهمه .

فقال مونرو :

- سأحاول الا أثقل عليك يا سيدي البروفسور .

وأوما الرجل المريض برأسه عرفاناً وتقديراً .

وتابع مونرو :

- ويمكن ان اوجه بعض الأسئلة إلى مس نيومان

وعاد الرجل العليل ليوميء برأسه موافقاً .

فقال مونرو :

- لقد تلقيت رسالة مني اليس كذلك ؟

- بلى ، لقد تسلمها البروفسور شورهام واطلع على ما بها .

وعندئذ فتح الباب واطلت منه إحدى الممرضات ..

وقالت في همس :

- مس نيومان ، هل ثمة ما يمكن ان اقوم به .

- شكراً مس اليس ارجوك ان تلزمي غرفتك عبر الدهليز .. لتكوني

على مقربة منا !

- بكل تأكيد

وأوصدت الباب في رفق لتمود إلى مكانها .

وقال مونرو :

- ليس من شك في ان البروفسور شورهام يتابع مجرى الأحداث .

- انه ملم بكل ما يهمه الامام به .

- هل هو على اتصال بالإنجازات العلمية الحديثة ؟

وكان روبرت شورهام هو الذي تولى الاجابة هذه المرة :

- لقد انصرفت عن كل ما يمت للعلم بسبب ونفضت يدي من ذلك .

.. ولكنك تدرك ما يحدث في العالم ؟ وما احرزته ثورة الشباب من نجاح

ومحاولة هؤلاء الاستيلاء على مقاليد الأمور في العالم

وانبرت مس نيومان تقول :

- انه على اتصال بكل ما يجري من الناحية السياسية فقط .
- إن العالم يتعرض لأعمال من العنف وهو ضحية لاتجاهات ثورية عارمة ،
- وانظرية غير معقولة عن حكم الأقلية الفوضوية .

فتقدم مستر روبنسون قائلاً :

- إنه يعرف كل هذا . ولا حاجة بنا إلى إضاعة الوقت في تديد
- هذه الحقائق التي يدركها الرجل تمام الإدراك سيدي ، هل تذكر شيئاً عن
- الأميرال بلانت ؟ -

فأوما الرجل برأسه إيجاباً وانفرجت شفتاه عن ابتسامة عابرة ومضى
روبنسون قائلاً :

- إن الأميرال بلانت يذكر شيئاً عن جهودك العلمية في مشروع معين
- مشروع بينفو .

وتبين الجميع ما ومضت به عينا الرجل .

وأجابت مس نيومان :

- مشروع بينفو إنك تعود بالزمن القمقري يا مستر روبنسون .

- لقد كان هذا المشروع مشروعك اليس كذلك ؟

وكانت مس نيومان هي التي تتولى الاجابة دون تردد :

- بلى ، قد كان مشروعاً .

- إننا لا نستطيع استعمال الأسلحة الذرية ، ولا نستطيع استعمال
- المتفجرات ، ولا الغازات السامة ولا الكيماويات . أما مشروع بينفو فهو
- ما نقدر استعماله .

وخيم السكون على الغرفة وراى صمت مطبق على الجميع ثم بدأ البروفسور
شورهام يحاول النطق والتحدث اليهم وقالت مس نيومان محاولة التعبير عما

يريد الادلاء به

- إنه يقول بكل تأكيد فمن الممكن استعمال بينفو بنجاح .

ثم استدار الرجل المريض اليها يحدثها بما يشاء وقالت :

- إنه يريد مني أن أزيدكم إيضاحاً ، إن مشروع ب ، الذي سمي فيما بعد بمشروع بينفو ، كان مشروعاً عمل فيه طوال عدة أعوام ثم أفرغ يديه منه لأسباب خاصة به

- هل فشل في تجسيد مشروعه ؟

- كلا ، إننا لم نفشل . وقد كنت أعمل معه في هذا المشروع إنه نحاه جانباً لأسباب معينة ، ليس الفشل من بينها ، وقد كان موفقاً أيما توفيق .

- نرجوك أن تزيدنا إيضاحاً .

- لكنه يريد أن يعرف كيف علمتم بأمر هذا المشروع .

- قد علمنا به عن طريق أحد أصدقائه علمنا به من الليدي ماتيلدا كليكفيتون التي تحدثت اليها عنه ذات يوم .

وبعد أن تأملت ليزا حركة شفتي الرجل المريض قالت :

-- يقول انه كان يعتقد أن ماتيلدا قد انتقلت إلى العالم الآخر منذ عدة أعوام .

- إنها ما زالت على قيد الحياة وهي التي أفضت إلينا بسر هذا المشروع وأرادت منا أن نعرف كل شيء عنه

- سيحيطكم البروفسور شورهام علماً بالنقاط الرئيسية لما تريدون الامام به وإن كان يجب لزاماً عليه أن يبصركم بأن ما ستسمعونه منه لن يفيدكم في كثير أو قليل لقد أعدم كل ما له علاقة بهذا المشروع من أوراق ومذكرات . وإرضاء لفضولكم يمكنني أن أوافيكم بالخطوط الرئيسية لمضمونه إنكم تعرفون بطبيعة الحال فوائد استعمال الغاز المسيل للدموع الذي تستعمله الشرطة لمقاومة

المشاغبين والمتظاهرين الى آخر ما هو من هذا القبيل .

- وهل هذا المشروع من نفس الفصيلة ؟

- كلا وان كان يؤدي إلى نفس الغرض المقصود منه . وقد تبادر الى أذهان العلماء انه يمكن التأثير بوسيلة أو بأخرى في بعض نواح من خصائص الانسان العقلية ومن خصاله .

ويريد البروفسور شورهام أن يحيطكم علماً بأن ثمة وسيلة يمكن بها تغيير نظرة الانسان للحياة . وإن من شأن مشروع بينفو أن يحول نزعات العنف والفضب ، والسخط الى نزعات مضادة يمكن تلخيصها في كلمة واحدة هي (النزعات الحيرة) بمعنى أن الانسان يمنح للخير بدلاً من الشر وللإحسان الى الآخرين بدلاً من الإساءة اليهم

- وما هو مدى تأثيره ؟

- ان تأثيره ليس مؤقتاً ان له صفة الدوام .

- الدوام ؟ أي انكم بهذا المعيار تغيرون طبيعة الانسان وتكوينه الخلقى دون رجعة الى ما كان عليه ..

- نعم وهو اكتشاف له فوائد في حالات كثيرة

مثل الحروب ، والثورات ، وأعمال الفوضى انه اكتشاف لسعادة الغير ا سعادة دائمة للغير .

فقال مستر ربنسون :

- رائع . ياله من اكتشاف مذهل . حينذا لو بوضع هذا الاكتشاف موضع

التنفيذ - لكن فيم كل هذا ؟ ولماذا ؟

واستدار الرجل العليل برأسه تجاه مستر روبنسون

وقالت مس نيومان :

- يريد ان يقول انك أكثر إدراكاً من الآخرين .

وانبرى جس قائلاً :

- ان هذا ما أدركناه جميعاً وما صدر عن مستر روبنسون هو رد الفعل الطبيعي للاحاطة بتأثير هذا الاكتشاف ! انه رائع فعلاً .

وكانت مس نورمان تحرك رأسها نفيًا وهي تقول :

- ان مشروع بينفو ليس للبيم او او الاهداء .

وقال الكولونيل مونرو وهو غير مصدق :

- أنفهم من قولك أن الرد بالنفي ؟

- نعم هذا ما يريد البروفسور أن يقوله لكم .

وقد رأى فيه أنه ضد ..

ثم توقفت لتنظر الى الرجل الذي كان يأتي بحركات برأسه ويده اليمنى ،

وتصدر من بين شفطيه أصوات غير مفهومة .

وتريثت قليلاً ثم قالت :

- انه سيحاول أن يخبركم بنفسه . لقد كان خائفاً مما فعله العلم في عهد

ازدهاره : تلك الأشياء التي توصل العلم اليها وكشف عنها النقاب . تلك

الأشياء بالذات ، بقدر ما كان فيها من نفع كانت ضارة بالانسان . فما هو

البنسلين بقدر ما أنقذ من حياة قضى على حياة أخرى . وما هي الذرة بقدر

ما فيها من نفع فيها من ضرر بل أن ضررها أكثر من نفعها انه كان يخشى

سوء استعمال ما يكشف العلم عنه النقاب لصالح الناس .

- لكن هذا المشروع سوف يستفيد الجميع من تنفيذه .

- لا تنس الآثار الجانبية التي تكتشف بعد طول الاستعمال وهذا ما حدا به

الى نبيذ هذا المشروع .

وراحت تتلو على معهم المدون في المذكرة المسككة بها بينما كان العالم الكبير

يوميء برأسه موافقاً .

كان المدون إقراراً منه بأنه ارتأى الاطاحة بهذا المشروع والقضاء على كل

ما يمت اليه بصلة خوفاً من سوء استعماله .

وبعد أن فرغت الفتاة من التلاوة حاول روبرت شورهاام جهده أن يتحدث
بلسانه المتلعثم اليهم .

قال :

— قد أعدمت نتاج عقلي وثمره جهود الأعوام . ولا يعلم أحد في هذا
العالم شيئاً عن كيفية اهتدائي لما توصلت اليه . وقد ساعدني في هذا
العمل رجل واحد ، لكنه الآن في عداد الموتى . وقد قضى السل على
حياته بعد عام من نجاحنا عليكم الآن بالعودة حيث أتيتم فليس في وسعي
أن أساعدكم

. ان في وسعك أن تنقذ العالم !

فأطلق المريض من فمه ضحكات مرتجفة .

ثم قال :

— أنقذ العالم ! أنقذ العالم ! يا لها من عبارة أوليس هذا ما يعتقد
شبابكم انه فاعله ! انهم يمارسون العنف والكرامية لانقاذ العالم . لكنهم
لا يعرفون السبيل الى ذلك ! ولندعهم في طفيلياتهم يجب ان ندع الأمور تجري
على سبيلتها ، وألا تقاوم طبيعة البشر . لئن حاولنا شيئاً من هذا القبيل ،
لناهضنا الله وقاومنا قدره .

وراح الرجل يتطلع الى المحيطين به وكان يبدو وكأنه يناشدهم أن يفهموه ،
وأنه فاقد الأمل في حسن ادراكهم :

— لقد كان من حقي أن أقضي على ما صنعتته يداي .

فقاطعه مستر روبنسون قائلاً :

— أشك في هذا لأن المعرفة هي المعرفة ولا يجب بحال ما أن تعدم المولود
الذي أخرجته للحياة .

. لكل وجهة نظره ، غير انه لا ممدى لك عن التسليم بالأمر

الواقع .

وفي صوت مدوي قال مستر روبنسون

- كلا !

فاستدارت اليه ليزا وقد استشاطت غضباً قائلة :

- ماذا تعني بقولك كلا ؟

ولم تحاول أن تخفي مشاعرها ا

وقد دار بخلد مستر روبنسون ، انها الفتاة الهبة المخلصة لروبرت

شورهام !

لقد أحبته ، وعملت معه ، وها هي الآن ترافقه في مرضه ، وقال لها

مستر روبنسون :

- ثمة أشياء يعرفها المرء مع الأيام ودورة الزمن ، ولا أعتقد ان الحياة

ستمتد بي طويلاً لأنني أشعر بهذا في قرارة نفسي وقد عرفت من ماضي أيامي

بضعة أمور ا

انك خير من يدرك يا شورهام اني على حق فيما أقول ، وأنا أعرف انك

رجل صادق أمين ، وانه ما كان لك أن تقضي على ثمار عملك ، بل ولم

يكن في وسعك أن تفعل هذا ا

ان نتيجة تجاربك وأبحاثك مودعة في مكان ما ، في تحفظ وحرص عليها

ولعلك قد أردعتهم أحد البنوك ولا بد أن مس ليزا تعرف ذلك لأنك قد أوليتهم

ثقتك دون البشر جميعاً ا

فرد شورهام في صوت كان أكثر وضوحاً رجلاء :

- من عساك أن تكون ؟ من أنت ؟

- إني رجل من رجال المال يعرف الكثير عنه وعن كل ما يتفرع عنه .

إن في وسعك أن تفعل الكثير ، باستعادة ما مضى . لقد سمعنا منك وجمة

نظرك ولا أزعم انها كانت خطأ في كل النواحي قد تكون مصيباً فيما قلته

عن المزايا والمسارى ولدينا في التاريخ أمثلة كثيرة كما ذكرت غير انه ليس

من حقلك على الاطلاق أن تحجب عن العالم ما توصلت اليه من اكتشاف قد ترجح
مزاياه على مساوئه .

فقال الكولونيل مونرو ،

- فم كل هذا الحديث وتلك المناقشة ؟

فردت المس نيومان :

- عيشاً يحاول مستر روبنسون ، ولا جدوى مما يقول . إن رد البروفسور
شورهام قاطع ولا يمكن إرغامه على القيام بما لا يريد
وأردف اللورد التامونت قائلاً :

- كلا اننا لن نرغم أحداً أن نثقل عليك يا روبرت . لك أن تفعل ما تراه
صواباً . وهذا حقلك

- إدوارد ؟

- وحاول روبرت شورهام أن يواصل الكلام ، لكن لسانه خذله ثانية ،
وبدأ يحرك يديه .

وراحت مس نيومان تقول :

- إدوارد ؟ انه يقول ادوارد ، أراك ادوارد التامونت؟ انه يستفسر منك
يا لورد التامونت ، عما إذا كنت راغباً حقاً في وضع مشروع بينفو تحت
تصرفك ؟ إنه يقول انك الرجل الوحيد الذي وضع ثقته فيه من رجال اللحم
في البلاد فإذا كانت هذه رغبتك ..

ونفض جسماً واقفاً وأسرع قرب كرسي اللورد التامونت قائلاً .

- دعني أعاونك على النهوض يا سيدي انك مريض ولست على ما يرام .
أرجوك أن تبتمدي قليلاً يا مس نيومان ، ان معي دواءه . وأعرف ما
يجب عمله

وأسرع يخرج من جيبه محقنة تحت الجلد قائلاً .

إن لم أسرع بمحقنه قبل فوات الأوان تسوء النتيجة .

وقبض على ذراع اللورد وكشف عنه قميصه تهيئة لحقنه . وبأسرع من لمح البصر ، كان هورشام يقفز إلى حيث يقف جسم لانه من تنفيذ ما كان يحتم القيام به .

وحاول كليك أن يقاوم ، ولكن هورشام تغلب عليه ، وكان مونرو قد أسرع إلى معاونته ..
وقال مونرو :

- إذن فقد كنت أنت ، جسم كليك ، الخائن الذي يمثل دور التابع الأمين .

وكانت مس نيومان قد أسرعت إلى الباب تفتحه وتنادي الممرضة أن تسرع بالحضور .

وأقبلت الممرضة ، والقت بنظرة سريرة على البروفسور شورهام ، الذي أوما بيده إلى حيث يقف مونرو ، كما بكليك الذي يحاول الإفلات منه . ووضعت الممرضة يدها في جيب معطفها . غير ان شورهام صرخ قائلاً :

- انه التامونت أزمة قلبية

فزأر مونرو قائلاً :

-- أزمة قلبية ؟ كلا . إنه شروع في قتل .

ثم توقف فجأة عن إكمال كلامه قائلاً لهورشام قبل أن يقفز عبر الغرفة :

- لا تدعه يفلت منك .

ثم اتجه إلى الممرضة قائلاً

- مسز كورتبان ؟ منذ متى التحقت بمهنة التمريض ؟ لقد فقدت أمرك منذ

أن استطعت الهرب في بلتييمور .

وكانت ميلي جين لم تخرج يدها بعد من جيبها وفي تلك اللحظة أخرجتها

بالمسدس الصغير

ورآما مونرو تنج، بنظراتها صوب شورهام فأمرع يحول بينها وبينه ، كما
أسرعت ليزا تقف أمام مقعده .

صرخ عليك :

- جوانيتا ، عليك بالتامونت ! أمرعي عليك به !
ورفعت ذراعها وأطلقت النار .

صرخ عليك :

- لقد أصبت الهدف !

وقم اللورد بصوت ضعيف وهو ينظر إلى عليك :

- جيمي ؟ حق أنت يا بروتس ؟

ثم تداعى مستنداً الى ظهر مقعده .

* * *

تلقت الدكتور ماك كيلوك فيما حوله ، وهو لا يدري ماذا يقول او يفعل
بعد كل ما قام به .

لقد كان هذا المساء من الأمسيات غير العادية في حياته .

وأقبلت عليه ليزا بكأس في يدها قائلة :

- قد يفيدك هذا .

- كنت أعرف دائماً انك فتاة نادرة يا ليزا .

وراح يرتشف من كأسه مستمتعاً ثم استطرد :

بودي لو عرفت فيم كان كل هذا ؟ أم لعلي لن أفوز منك بطائل

أسرية الموضوع

- هل البرفسور بخير ؟

- نعم انه بخير ، بل لقد كان لما حدث رد فعل أفاده كثيراً .
.. كنت أظن أن الصدمة ..

فقاطعها شورهام قائلاً :

- اني بخير . ان الصدمات خير علاج للصددمات إني أشعر بأني عدت للحياة

من جديد .

وكان بادي الدهشة . فقال ماك كيلوك يحدث ليزا :

- ألم تتبني قوة صوته ؟ دعيه يزاول عمله بقدر الامكان ان حياته في العمل

ولا يزال ذهنه متوقداً .

وكان شورهام يتطلع اليهما مستحشاً ، بينما كانت تنظر اليه في شك

من ذلك .

وانبرى الكولونيل مونرو يقول :

- دكتور ماك كيلوك ، أعتقد أننا مدينون لك بشي من الايضاح لما حدث

هذا المساء ، وإن كان المفروض كتمان الأمر نزولاً على مقتضيات السياسة العليا

ان مقتل اللورد التامونت .

فقاطعه الطبيب قائلاً :

- الواقع أن الوفاة لم تكن ناتجة عن الطلق الناري ، لقد كانت بسبب

الصدمة العصبية وكان المفروض أن تؤدي المحقنة الى ذلك لولا ..

- لولا اني انتزعتها من يد كليك .

بهذا أردف هورشام موضعاً ما حصل فقال الطبيب :

.. لقد كان دسيسة عليكم .

- نعم وكان موضع ثقة اللورد التامونت وحببه اذ كان ابناً لأحد أصدقائه

الهدامي .

- هذا ما يحدث أحياناً ، والسيدة ، هل كانت ضالعة معه ؟

نعم . وقد انجحت بالعمل هنا كمرضة بأوراق مزيفة ان الشرطة تجد

في أثرها بتهمة القتل .

- القتل ؟

- نعم قتل زوجها سام كورتمان السفير الأمريكي . لقد أطلقت عليه النار بينما كان يصعد درج السفارة . واخترعت القصة التي أدلت بها ضمن أقوالها عن مهاجمة شبان مقنعين له :

- وما سبب العدوان عليه ؟ أمو سيامي أم شخصي ؟

- نعتقد أنها قتلت زوجها ، لأنه اكتشف بعض نواحي نشاطها

المنعروف :

وأردف هورشام يقول :

- أعتقد انه شك في خيانتها للبلاد أمر اكتشافه لخلية الجاسوسية والمؤامرات التي كانت تديرها . وكان في حيرة من أمره ، لا يدري ماذا يفعل في هذا الوضع وبالذات لأنه لم يكن سريع البديهة .

وسمعوا كلهم صوت البروفسور شورهام يقول :

- ليزا سنبداً العمل من جديد .

فدهشوا وراحوا يتطلعون اليه في حيرة وقالت ليزا .

- ولكن يا روبرت .

- قد عدت للحياة من جديد . واستفسري الطبيب عن هذا .

وتطلعت ليزا إلى ماك كيلوك متسائلة فقال .

- لئن فعلت ذلك فسوف تسوء إلى صحتك

فقال شورهام :

- إنكم دائماً هكذا ، معشر الأطباء ، تجعلون مريضكم يعتقد أنه على

حافة القبر .

فضحك الدكتور ماك كيلوك ونهض قائلاً :

ليس إلى هذا الحد . إننا نحرص على صحة مرضانا ، رأبعث اليك ببعض

الأقراص لتأمينك على ما تبغي .

- لن أتناول منها شيئاً .

- بل ستتناولها بانتظام .

وتوقف الطبيب عند الباب قائلاً :

- بودي لو عرفت . كيف تيسر لكم استدعاء الشرطة بهذه السرعة ؟

- كانت لدى قائد الطائرة التعليلات اللازمة بالاستعداد لكل ما يحدث وكنا

نعلم بأن المرأة كانت تحوم حول المسكان وإن لم تكن لدينا أية فكرة عن أنها

كانت في البيت فعلاً .

- لقد سمعت الكثير وشاهدت عجباً وداعاً .

وانصرف الطبيب .

وخيم على الغرفة السكون . وسمع صوت البروفسور شورهام ، وهو

يقول :

هيا إلى العمل !

فقالت له ليزا ، شأنها في هذا شأن سائر النساء :

- روبرت ، عليك أن تتوخى جانب الحذر .

- كلا . كلا . إن الحياة أقصر من ذلك .. سأعمل تخليداً

لذكراه .

- ماذا تعني ؟

- ذكراه . أجل ، ذكرى ادوارد ! لقد كنت دائماً أرى فيه وجه

الشهيد .

واستغرق شورهام في تفكير عميق . ثم قال :

- بودي لو اتصلت بجورتليب ، قد يكون في عداد الموتى . إنه خير من

يعمل معنا يا ليزا ، إستمعيني الأمانة من البنك

قال المستر روبنسون مجيباً

إن البروفسور جوثليب لا يزال على قيد الحياة في مؤسسة بيكر ، في
أوسن بتكساس
وتساءلت ليزا :
- ماذا تحاول أن تفعله .

... مشروع بينفو بكل تأكيد ! رسابمته من جديد إحياء لذكري إدوارد
التامونت الذي قصى نخبه في سبيله ، ألم يكن هذا ما حدث ؟ لا يجب ان
يموت أحدا عينا .

الخاتمة

بعث السير ستافورد ناي البرقية التالية لثالث مرة :
« أعددت العدة لإقامة حفل الزفاف يوم الخميس القادم بكنيسة سانت
كريستوفر في ستونتون الساعة الثانية والنصف مساءً وسيكون الحفل تبعاً
لطقوس الكنيسة الانجليزية أو تبعاً للطقوس اليونانية الارثوذكسية إذا رغبتُم في
هذا . رجاء الابراق بالتعليقات . أي اسم تختارينه للتسجيل في عقد الزواج ؟
إبنة أخي البالغة من العمر خمس سنوات تلح في أن تكون وصيفة شرف واسمها
سبيل . شهر العسل سنقضيه محلياً لأننا سافرنا كثيراً بما فيه الكفاية ، في
المدة الأخيرة .

الامضاء

مسافر إلى فرانكفورت

* * *

إلى ستافورد ناي

أوافق على سبيل كوصيفة شرف وأقترح العمدة الكبرى ماتيلدا رئيسة
شرف . وأوافق على ما أعد للزواج ولقضاء شهر العسل .

التوقيع : ماري آن

- تمت -